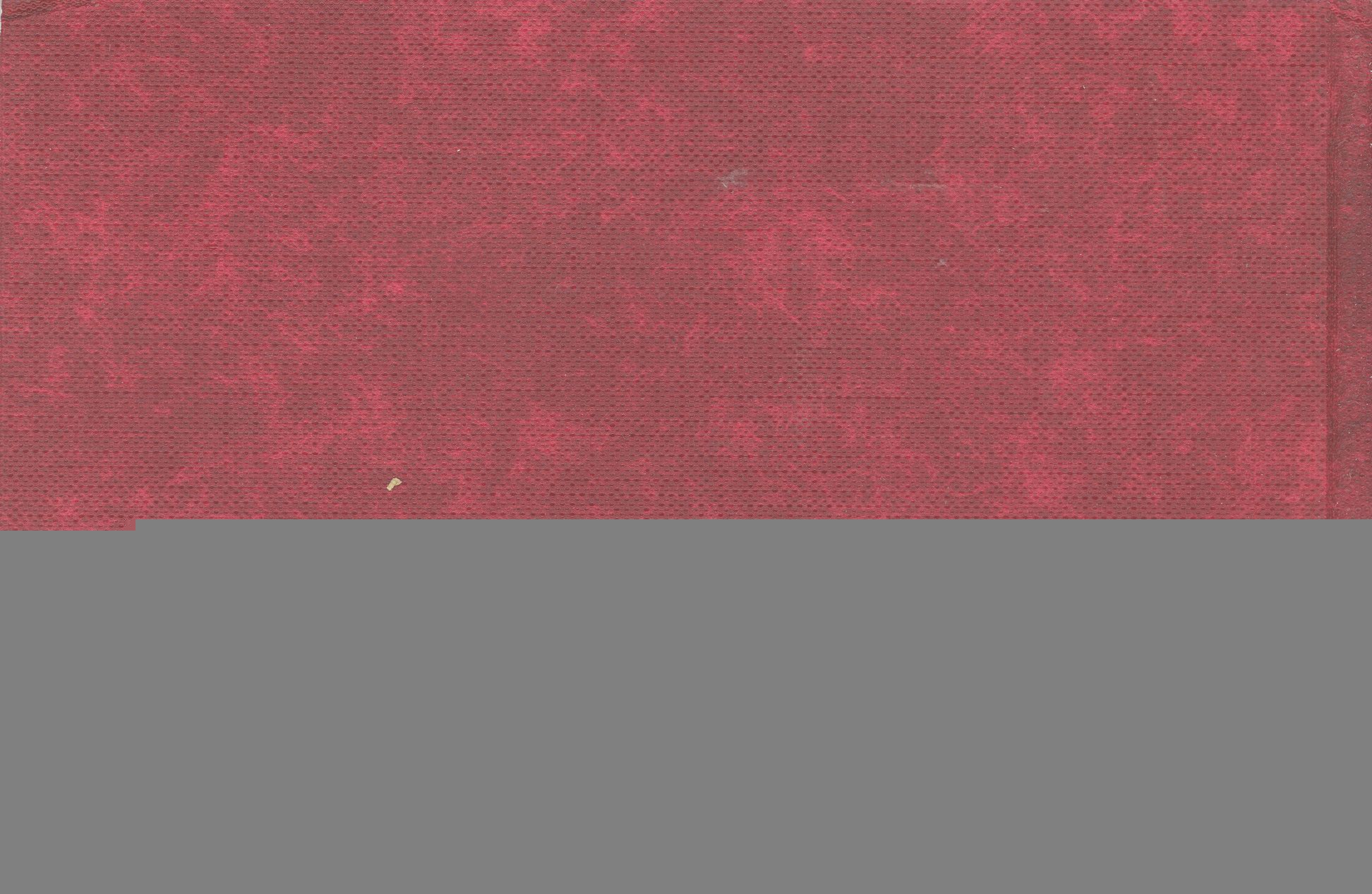


ادباء شباب ١٠

"مجموعة قصصية"
من أدب الشباب

تقديم
لويس يعقوب

١٠ ادباء شبان

انجي سندباد
مريم البنا
سليمان كابوه
لطفي محمد عبد الرحيم
عبد النبي السيد كراوية
يحيى حسن السيلي
سيد عبد الحق
علاء الدين محمد يوسف
ابراهيم فهمي
شحاته عزيز

الناشر : مكتبة مدبولي - القاهرة

مقدمة

قالوا لتولستوي :

ماذا وجدت في القلم •• حتى هجرت الجندية من اجله ••

قال : وجدت قلبا ينبض •• وجرحا يلتئم •• وروحا تهيم •• وجدت في القلم نفسي •• التي قضيت سنوات طفولتي أبحث عنها •

وقد وجد كل من الادباء كتاب القصة الشبان •• وأدباء المستقبل انفسهم في القلم •• فعبر كل واحد منهم عن نفسه اجمل تعبير •• بفن كتابته للقصة القصيرة ••• وهي في حد ذاتها •• رسالة الادب ••

فالادب رسالة •• والاديب يحمل هذه الرسالة •• والرسالة مسؤولية تقع على عاتق الاديب •• الذي شق طريقه •• وتمكن من توصيل فكره للناس ••

وهذه الرسالة •• تحتم على كل أديب أن يسلم مشعل الرسالة لاديب من بعده •• وان يقدم كل خبرته للجيل الذي يتسلم منه هذه الرسالة •• انها مسؤولية كل الادباء •• أن يعطوا الحياة الفكرية لمن كرس حياته لها •• انه لقاء الاجيال •• ليستمر العطاء •• ولا يتوقف بانتهاء جيل بعينه ••

وانه لمن دواعي الفخر أن أقدم هذه المجموعة الواعدة من « أدباء الجيل الصاعد » الذين تخرجوا من « صالون نادي القصة الادبي » بعناية ورعاية جيلنا نحن من أدباء الوسط •• حتي يحملوا مشعل الرسالة من بعدنا ••

لوسي يعقوب

فن كتابة القصة القصيرة ..!

كيف يمكن تعريف القصة القصيرة ..؟؟

وكيف يمكن تعريف كاتب القصة القصيرة ..!!

ولم يقال بأنها فن ..؟؟ هو « فن كتابة القصة القصيرة » !!!

القصة القصيرة فن .. فن منفرد .. فن الوحدة والعزلة ..!! لـذا ينكمش الاديب على نفسه في قصة قصيرة .. ترضى به .. ويرضى بها ..!!

والقصة القصيرة فن .. فن جميل .. موهبـة .. استعداد ..!! القصة تبدأ بانفعال .. وهذا الانفعال يبتدىء بنسيج أوله معالم .. ثـم تتدخل صنعة الكاتب وفنيته ..!!

فهي أولا واخرا .. موهبة .. استعداد .. وفن ..!!

استعداد لشخص غني بالطاقات الانفعالية الملتقية لحدث هذا الانفعال .. غني بالتأملات العميقة .. غني بالقدرة على التعبير .. غني بالقدرة على الوصف .. وتشكيل الحدث .. بعقدة فنية .. ينهي بها هـذا الحدث .. ليصبح قصة .. وقصة قصيرة ..!!

اذن .. فلم يخطىء من يعرف القصة القصيرة بأنها فن .. وهنـاك فن لكتابة القصة القصيرة .. لان كاتبها فنان .. وفنان موهوب .. لـه مقدرة الاقتناع والاقناع .. الاقتناع بفنه ..واقناع القارىء بهذا الفن .. ادخال الاقتناع والاقناع الى عقل القارىء وقلبه .. فلا يستقر في روعه أن هذا الذي يسرد عليه بعيد عن الحقيقة .. ويعرف هذا الكاتب أو هـذا القاصي بأنه اديب .. وبأنه فنـيـان .. لانه يكتـب القصة . ينسج خيوطها

.. بوحي من انفعال صادق .. ومشاعر صادقة .. وينهيها باقتناع واقناع .. تعطيه صفة العمل الفني .. واكتمال حدث يشكل قصة قصيرة ...... متكاملة البنيـــان .. !!!

وفي حديث لي مع يوسف السباعي عن تعريف العملية الادبية الفنيــة كلها .. يقول في اجابة تغطي كل هذه التساؤلات من البداية الى النهاية ... لنخرج منها أولا واخرا بأن كتابة القصة فن .. وفن لا يمارسه الا فنان !!

اولا : عملية الخلق .. كيف تحدث ..؟؟

يجب أن تحدث لانسان موهوب .. لانه ليس من الممكن ان يكون كــل انسان قابل لان يكون أحد منابع الخلق ... هناك كثيرون يتمنون أن يكونوا كذلك .. ويحاولون محاولات متعددة في كتابة الشعر والادب .. ولكنهــم أبدا لا يدخلون في باب النتاج .. الذي يسمى بالخلق ..!!

ان الخلق «حياة» ينمو ويؤثر .. الخلق يعطي شيئا حيا .. ولكي لا يكون المخلوق ميتا .. ومنبعا للخلق .. لابد أن تؤثر فيه الموهبة ..!!

ويمكن تلخيص «الموهبة» في كلمات مبسطة ..!!

هذه الموهبة التي يقولون عنها أشياء متعددة ومعقدة .. تبسط في :

« خيط يصل بين المرسل والمستقبل .. بمعنى أن هناك خيطا يجـذب المسترسل الى المرسل .. ويشده اليه ..! وفي كل ما يصدر عن المرسل .. قابل للاستقبال عند المستقبل .. ولا يحدد له ميعاد ..!! الكاتب حــين يكتب..!! الملحن حين يلحن ..! المطرب حين يغني ..!الممثل حين يمثل..!! وكـــل من له أثر .. ونقول حينئذ انه أنتج شيئا حيا .. أو «خلق» .. بالرغم أن هذا لـــه قواعد علمية .. له سمات محددة .. فانه ينطلــق من منبعه بتلقائية تحددها الموهبة .. التي ينبع منها هذا النبع .. وبعد ذلــك يمكن أن تصقل .. ويمكن أن تخضع لقواعد علمية .. لكن اولا : يجب أن

تصدر من شخص موهوب .. لذلك أسميه «نبع الخلق» .. واقصد بالخلق .. الخلـــق الفنـــي ..!!

من هـــو الشخص الموهوب ..؟؟

انني ابتدىء بوصفه أولا : انه انسان مثل كـــــل الناس .. به كـــل مزاياهم .. في مجتمع ما ..! خاضع للتقاليد .. وجزء لا يتجزأ من هـــــذا المجتمع .. جزء من البشرية .. بحيث يجب الا يكون شاذا ..!! ما يؤلمهم يؤلمه .. أي لا يكون «سوبرمان» مثــــــلا ..!! « يكون الانسان العادي الطبيعي الذي يؤثر فيه ما يؤثر فيهم .. كل آلام البشرية تؤثر فيه .. بنفس الطريقة التي تؤثر في الاخرين .. » .

يتميز بفرط الحساسية .. الحدث الذي يؤلم ويفرح .. يؤثـــر فيه تاثيرا شديدا .. ثم هو انسان قادر على التعبير او الانفعالات التي اثارهـــا هذا الحدث .. او اي فعل .. يعبر عنه .. ليس فقط تعبيرا عاديا .. بل يعبر عنه تعبيرا فنيا .. جذابا .. وهو قادر على التأثير في تغيير السلوك في الحيــــــاة ..!!

ويمكن أن نحدد هذا الخلق .. **وهو خلق فني** .. ينتهي الى مــــــدى قدرته على التأثير في الغير .. بمعنى أنه عندما نقرأ له قصة .. لا ينتظـــر منه تحسين الاخلاق فورا .. هو ليس بواعظ .. فقط اذا قرأ له .. وشعر القارىء براحة .. يكون قد تمكن من التأثير فيه ..!!

ويمكن لو تعرض القارىء لحادثة بعد قراءته للقصة .. يكون اكثـــر صبرا .. واكثر قوة .. واكثر حنانا .. لقد استطاع الكاتــــــب أن يؤثر في القارىء نتيجة للتعبير الذي صدر منه ..!!

قطعا .. هذه مواصفات العمل الفني .. ومواصفات الفنان الــــــذي يصدر عنه هذا العمل الفني ..!!

خرجنا من كل هذا الايضاح لرائد من الرواد في عالم القصة والرواية

بأن كتابة القصة «فن» وفن كتابة القصة فن .. وهذا الفن لا يصدر الا عن فنان .. وفنان موهوب ..!!!

* *

وفي مسابقة من مسابقات « نادي القصة » قدم يوسف السباعي مجموعة القصص الفائزة بتعريف عن مستقبل القصة القصيرة قال فيه :

« ان القصة القصيرة بخير .. برغم كل ما يقال عن ازمتها .. ولما تلاقيه من عقبات يزعم بعض النقاد أنها تكاد تقضي عليها .. فلقد برهنت المسابقات المتتابعة بكمها وكيفها .. ان القصة القصيرة لا تزال تحتفظ بشبابها .. وان كانت قد تغير من مظهرها .. وهذا دلالة على حيويتها .. وعلى أنها لا تزال الى جانب القصيدة الغنائية حقل التجارب الاول لدى شبابنا من هواة الادب ..!!

انهم قد يمارسون أشكالا أدبية أو فنية اخرى فيما بعد .. ولكن بعد أن يكونوا قد عرفوا حقيقة موهبتهم .. وتمرسوا الابداع الادبي عن طريق كتابتهم القصة القصيرة .. التي تلبي اكثر من حاجة لهم .. حاجتهم الى التعبير عما يمرون به من أزمات في هذا السن المبكر .. وعما يثور في انفسهم من احتجاج وتمرد على سلبيات مجتمعهم فيما بعد ..!!! ثم حاجتهم الى النشر السريع دون أن يخوضوا مغامرة كتابة رواية .. قد تنجح ..!! وقد تفشل .. بعد أن يكونوا قد أنفقوا الساعات الطوال في كتابتها ..!!

* *

ولقد مرت القصة القصيرة في مصر بازمات وبمراحل مختلفة منذ أواخر القرن الماضي الى أن استكملت كثيرا من بنائها الفني .. ولا يمكننا ابدا أن نغفل شيخ القصة القصيرة « محمود تيمور .. لقد اثرى الحقل الادبي اثراء أدبيا فنيا بمجموعاته القصصية التي تركت بصماتها في فن القصة القصير» .!

ان تيمور يقول عن تفاعلات القصة القصيرة ودنياها الفنية الزاخرة بشتى الاحاسيس والانفعالات الفنية بانها الحياة بجمالها ورشاقتها .. بفناها وهزالها ...بنشاطها وركودها .. الحياة الزاخرة بالزحمة والتكالب

.. المفعمة بالنقائص والمفارقات .. فيها الفقر الذي تصفر فيه ريح الخواء .. وفيها الخصب الذي يزهر بالنماء والازدهار ..!!

* *

ومن كتابة القصة القصيرة في الادب الغربي .. يتجلى بروعة كتابات «موباسان» وخاصة في مجموعة قصصه القصيرة « Short Stories »

ويقدمه « جيرالد هوبكنز » المترجم لتلك المجموعة من الفرنسية الى الانجليزية بقوله : « انه بحق سيد القصة القصيرة .. بلا منازع » !!!

ويعترف المترجم بحقيقة لا يخفيها بانه في البداية .. وجد ان المجموعة القصصية لموباسان في منتهى البساطة.. أو هكذا خيل اليه .. واعتقد بأنها لن تأخذ منه وقتا في الترجمة .. ولكنه كان مخطئا .. فان الحبكة الفنيـة وارتباط المعاني والمحاولة الى الوصول الى عقدة القصة بترجمة حقيقية لها .. وجد انها فن .. وفن صعب وصعب جدا بل واكثر صعوبة وفنية من الرواية الطويلة .. !!

وقد قاسى منها المترجم كثيرا ليعيش في فنية قصص موباسان القصيرة .. وفي ذلك يقول : « ان القصة القصيرة ليست بالسهولة التي نتخيلها .. انها فن .. وفن عميق .. متأصل الجذور .. ولابد من التعايش مع الكاتب الفنان حتى يمكنه أن يقدم هذا العمل الفني الرائع ..!! »

ان القصة القصيرة ليست عملا صغيرا .. سهلا .. بل هو عمـل متكامل الصورة .. والبنيان .. ان لم يخرج سليما .. انهار علـى رأس الكاتب والقارىء الى الابد ..!!

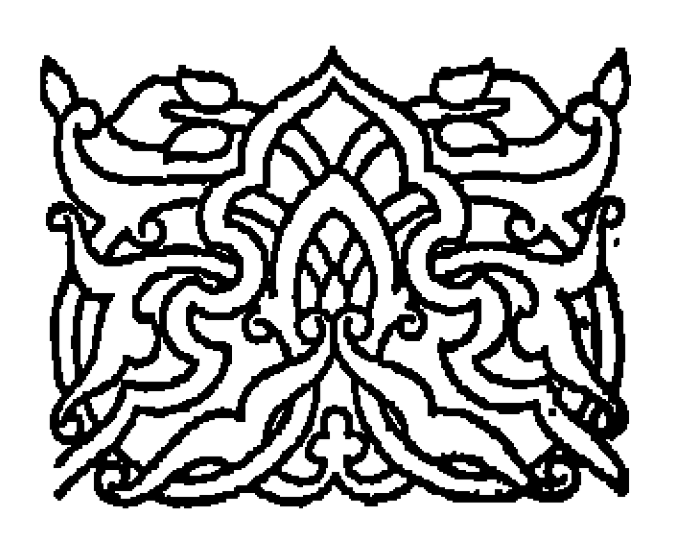
* *

ولا تقل قصص «لورنس» «القصيرة» روعة عن قصص «موباسان» لقد اشتهر لورنس بالرواية الطويلة .. شهرته العريضة في روايته « عشيق الليدي تشاترلي » ولكن .. ربما لم يقرأ له الكثير قصصه القصيرة في مجموعته الاميرة وقصص اخرى The Princess and Other Stories ..

وهي تحتوي على ١٢ قصة قصيرة .. كتبت في الثماني سنوات الاخيرة من حياته القصيرة أيضا فقد توفي لورنس وهو في الاربعين من عمره عام ١٩٣٠ .. وكما اعترف المترجم الاول بفنية قصص موباسان .. اعترف الناشر الثاني لقصص لورنس .. بصعوبة وحبكة وفنية القصة القصيرة التي لا يجب أن يستهين بها اي كاتب او اي اديب .. بل يجب أن يعطيها من وقته ومن فنه ما يعطي بل اكثر مما يعطي للرواية الطويلة التي يمكن أن تأخذ شكلا مطولا اسهابيا بعكس القصة القصيرة التي تعقد في حلقة صغيرة بمضمون شامل أوسع وبنيان صغير أشمل يعطي الفكرةوالهدف في حيز صغير يفي بالغرض المكتوب من أجله ..!!

ومن كتاب الغرب أيضا الذين برعوا في فن كتابة القصة القصيرة ... والذين عرفوا بالفنية والحبكة والمفاجأة الشيقة المذهلة « الكاتب الروسي تشيكوف» .. وغيرهم كثيرون من أساتذة فن القصة القصيرة التي تتسم بالحبكة الفنية والاصالة والعمق .!

لوسي يعقوب



إنجي سندباد

حريق

رحلة صيد

بائعة الخبز المقدّد

حريق

انصرفت سيارات الاطفاء ، محدثة ضجيجا عاليا باجراسها المتلاحقة، حتى ابتعدت تماما ... تهالكت سيدة تجاوزت الخمسين من العمر ، على المقعد الوحيد السليم في حجرة الصالون .. حافية القدمين .. مهلهلة الملابس ، شعثاء الشعر .

أخذت تجول بنظرها بين ارجاء الحجرة .. المقعد الذي في المواجهة ، تآكل قماشه «الاوبيسون» باهظ الثمن .. ظهرت فيه فجوة ، اطارها ، حافة غير متساوية الاطراف من النسيج ، داكنة اللون . المقعد الجانبي ، أصبح هيكلا خشبيا فقط .. استحال اطاره الذهبي الى مزيج من اللون الاسود الداكن والبني الفاتح . المقعد الكبير ، كسرت ساقين منه ، فبات مائلا .. لا زالت تقطر منه نقط من الماء . (الموكيت) الذي يغطي الارض ، لعبت فيه يد النيران .. ذابت أجزاء متفرقة منه ، وطفت قطع أخرى في بركة من الماء حديثة الصنع . بقايا اناء مهشم على الارض ، تظهر منه أعواد من الورود دهمتها الاقدام ، ولم ينقذها من الموت بحر الماء الذي غمرها .. جدران تحولت الى لوحات سيريالية قاتمة الالوان ، توحي بالغموض وتبعث الرهبة في النفوس .

امتلأ وجه السيدة تدريجيا ، بتجاعيد إضافية لتلك التي كانت موجودة من قبل . أجهشت بالبكاء .. ارتفع نحيبها .. رأسها يروح ويجيء من الخلف للامام بصيغة مستمرة .. تضرب فخذيها بكفيها بانتظام .. ثم أخذت تندب كمن ودعت عزيزا لديها واتته المنية .

اطلت برأسها من باب الحجرة ، فتاة في الخامسة عشر من عمرها

تقريبا . جمالها مزيج من جمال طفلة وديعة وانثى جذابة .. رقيقة كالنسيم .. تعقص وشاحا مزركشا على راسها .. تلبس جلبابا طويلا يصل الى ما فوق قدميها . اقتربت من السيدة .. ركعت على ركبتيها في مواجهتها .. اخذت تربت على يد السيدة .

ــ معلش يا ستي ، ربنا يعوض عليك .

استمرت السيدة في بكائها ، مستخدمة كلمات موزونة كأنها تندب مصابها في ملحمة حزينة . ابتلت يد الشغالة بدموع سيدتها .. نكست رأسها بيأس .. همت بالانصراف ، وقد ترك الاكتئاب بصماته على وجهها .

بعد نحو ساعة ، خرجت السيدة من حجرة الجلوس ، هزيلة ، شاحبة ، منتفخة الجفون .. ثم اخذت تساعد الشغالة كعادتها في أعباء البيت .

أنهت الخادمة عملها .. ارتدت جلبابها الاسود .. جمعت ملابسها داخل قطعة مهلهلة من القماش ، أحكمت عقدها . رأتها السيدة . تكدرت قالت لها بدهشة :

ــ الى أين يا زينب ؟

ــ سأذهب لزيارة اهلي في البلد يا ستي .

ــ الم تزورينهم في العيد منذ ثلاثة أسابيع ؟!

ــ نعم ولكني اشتقت لهم وأريد أن أراهم .

ــ لكنك ما تعودت زيارتهم الا في الاعياد !

ــ معلش يا ستي أعطيني حسابي الان ودعيني أرحل .

قطبت السيدة عن جبينها .. صمتت وهي تبحث في عقلها ، عن تفسير مقنع لتلك الخادمة .. ثم انصرفت تحضر لها النقود ، والحيرة تزعجها . لماذا تتركها فجأة وهي في تلك الظروف ؟! أخذت تحدث نفسها :

« السفر .. مشتاقة لاهلها .. الحريق .. تريد حسابها في الحال ؟! ..
الحريـــق !!!

حقــا ! ماذا كان سبب الحريق ؟؟.. لقد نشب في حجرة الجلوس .
ماذا اتى بالنار اليها ؟!.. لقد قلت للضابط بلا وعي ، انه ربما سقط سهوا على السجادة ، عود ثقاب لم ينطفىء من ابني ضياء .. فزوجي لا يدخن .
أما الان ، فاني أرى الامور جليا . ضياء ، يختلس بعض الانفاس في الخفاء أثناء استذكاره في حجرته . والده لن يرحمه اذا علم ذلك .. أما أنا فاني أشم رائحة الدخان عندما أوقظه في الصباح ليذهب الى الكلية .. لكننـي أتظاهر بأني لم أكتشف امره حتى لا يزيد من التدخين ... اذن فضياء ليس هو السبب . .والحجرة لم تطأها قدم منذ يومين .. ثم مــا السر في تغير سلوك زينب المفاجىء ، خاصة بعد تلك الحادثة ؟!

بدات السيدة تمسك بطرف خيط ممن مخزون ذاكرتها ... عندمـــا جاءت زينب منذ عامين تقريبا ، لتعمل خادمة عندهم . لقد ذكرت انها تركت مخدوميها السابقين ، دون أن تذكر أسبابا مقنعة لذلك . « لم تكن مرتاحة طرفهم » . هذا كل ما قالته . ومع مرور الوقت ، حكت لسيدتها ببساطة في سياق الحديث ، أن حريقا نشب عند مخدوميها .. ولم تذكر سببه أيضا .. ولم تعلق السيدة حينئذ على ثرثرة الخادمة المراهقـــة ... والان ، نفس الحادث يتكـــرر .

توهج الشك في نفس المراة .. شعرت بحاستها التي لا تخونها أبدا ، أن الحريق في البيتين يرتبط بعامل مشترك واحد .. هو وجود هذه الشغالة بالذات . غلى الدم في عروقها .. عادتالى الخادمة .. وبعصبية ، أوصدت باب الشقة .. وراحت تتفحص الخادمة المتاهبة للرحيل ، بنظرات حادة .. كأنها تجردها من اقنعتها لتكشف عما خفى .

تململت الفتاة في وقفتها .. ازعجتهــا نظـــرات سيدتها .. سألتها باضطـــراب :

ـ مــاذا حدث يــا ستي ؟

ـ أجابتها السيدة بسؤال اخر ، صاغته بطريقة من يعرف الاجابـــة عليـــه مسبقـــا [*]

ـ أريد ان أعرف السبب الحقيقي لرغبتك المفاجئة في السفر .

أجابت وهي تصلح من طرحتها بلا داع :

ـ لا يوجد سبب غير ما ذكرته لك يا ستي .

وهوت صفعة قوية على خد الشغالة الايسر ، ارتج لها كل جسدها .. فصرخت من الفزع أكثر منه من الالم .. وأمسكت بخدها الذي نفرت منه حمرة لم تكن فيه من قبل ... اقتربت منها السيدة تسألها بحدة :

ـ ما سبب الحريق يا زينب ؟

أجابت بهلع والدموع تنسكب منها سيولا :

ـ لا أعرف والله يا ستي .

فرقعت صفعة أخرى أقوى على خدها الايمن طرحتها ارضا .. ثم عادت تسألها والشرر يخرج من عينيها :

ـ ما السر وراء سفرك المفاجىء وما الذي تسبب في الحريق ؟.. أخبريني بالحقيقة والا ، فلن تخرجي من هنا .. سأتصل بشرطة النجدة ... وأخبرهم انك لصة ، فيقبضون عليك ويلقونك في السجن .

صرخت الفتاة باعلى صوتها .. لطمت خديها .. اخذت تولول وهي تستغيث بأمها استعطفت مخدومتها أن تتركها ترحل .. استحلفتها باعز الناس لديها أن تدعها وشأنها .

قالت سيدتها باصرار : ـ سوف اغفر لك اي ذنب مهما كان جسيما ، وأتركك ترحلين . بشرط أن أصل الى الحقيقة اولا .

هدأت الخادمة من البكاء .. مسحت دموعها بكمها وهي لا زالت تجهش .. التصقت بالجدار وهي جالسة على الارض .. اخذت تغطي

قدميها بجلبابها .. ثم رفعت عينيها وقالت :

ـ سوف أخبرك بالحقيقة كلها .. لكني أذكرك بوعدك ، أنك لـــن تمسيني بأذى .

ـ تكلمــــي بسرعـــة .

« كنت اعمل خادمة منذ ان كان عمري ثمـــان سنوات ، عند أسرة كريمة . مكثت عندهم نحو اربعة أعوام ... كنت طفلة . ثم فجأة،ظهرت علي بوادر البلوغ . تغيرت مقاييس جسدي . طالت قامتي .. كبر ثديي .. امتلأت أردافي النحيلة . ظهرت علي معالم الانوثة بسرعة لم أتوقعها ...

تغيرت نظرة البيه الصغير لي . بدأ ينظر الي باعجاب . افاجأ بـه يتأمل ساقيني العاريتين ، وأنا أمام (طشت) الغسيل كما كنت أفعل دوما . كنت أغطيهما بخجل ، لكن في قرارة نفسي كنت سعيدة باهتمامه بي .. اذ كان من قبل ، يكيل لي الضرب ويعاقبني لاتفه الاسباب ... أما بعد هـــذا التحول ، فلقد أصبح يعاملني برقة . يتعلق بيدي وأنا اقدم له القهـوة في حجـــرة مكتبـــه .

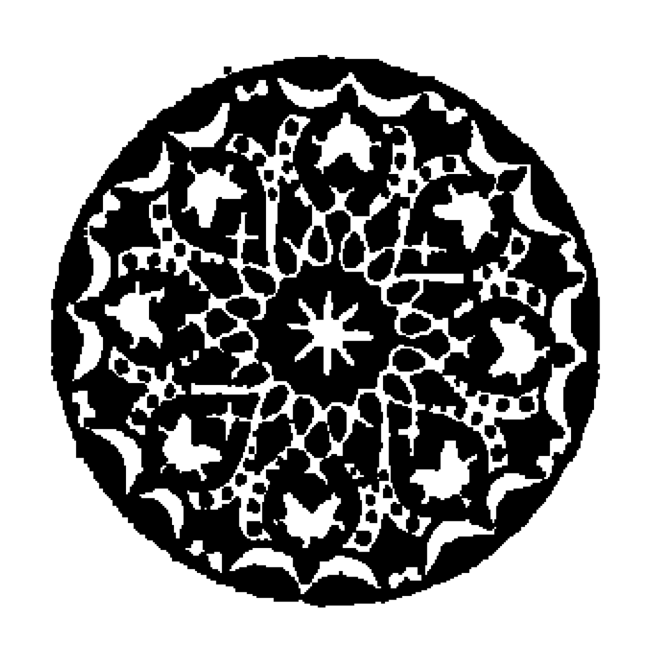
وذات ليلة ، لن أنساها ما حييت .. فتح باب حجرتي . تقلبــت في فراشي . بدأت أعي الى صوت حفيف أقدام تقترب من الفراش . فتحــت عيني في الظلام . رأيت شبحا . سألت بصوت مرتفع قليلا وأنا أرتعد خوفا : ـ « من » ؟ وامتدت يد قوية ساخنة ، تغلق فمي بعنف .. ثم يـد أخرى راحت تعبث بجسدي . ذعرت . حاولت الصراخ ، لـــم ينطلق صوتي . ارتمى جسده العاري الضخم فوقي . كاد يزهق روحي . قاومت مستميتة ، لم يتركني أفلت منه . أخذ يهمس في أذني بكلمات الحب واللوعة . عرفته . سيدي حسام . البيه الصغير . لم يعتقني . انقض علي كالوحش الآدمي . اقتحم بكارتي .. وتركني وسط الانين والدموع ، بعد أن هددني بالقتل اذا ما كشفت أمره لاحد .

بت مريضة بعد تلك الليلة المشؤومة . لم أتوقع أن يأتي مرة أخرى ،

محاولا تكرار فعلته الشنعاء في الليلة اللاحقة . ورغـــم ضعفي ، أمسكت بحذائي وضربته على راسه . تألم . لم يفعل شيئا . لكنه قال لي انـــه سيتركني أرتاح يومين .. ثم يعود . والويل لي اذا ما قاومته ثانيا . هددني بأنه سيعلن للجميع ، انني فتاة منحلة .. وانه قد رآني أثناء زيارتـــه لصديقه ذات مساء ، في وضع مشين مع صبي الكواء في حوش المنزل المجاور المظلم . كما أخبرني بأنه لن يكتف بذلك ، بل سيفضح أمري لاهلي في البلـــد حتى يقتلونني .

لم أغفل لحظة واحدة .. ولم اتحمل الانتظار ليلة أخرى .. وعنـــد الفجر ، أشعلت النار بالمنزل ، وهربت . لكـــن ، لـــم يندمل جرح نفسي وجسدي . اصبحت لا اسعد ، ولا يرتوى قلبي ويهنأ لي بال ، الا عندمـــا أحرق كل بيت أعمل فيه خادمة . ولا أقبل العمل الا في المنازل التي يوجـــد بين افرادها ، أبناء من الذكور .. حتى أنتقم من كل رجـــل يذكرني بحسام بيـــه » .

وبصقـــت علـــى الارض .



رحلة صيد

اخذ يبكي الطفل ذو الاربع سنوات . يجذب ثوب والدته الى أسفل .. يرجوها أن توافق على مصاحبته لاخيه الاكبر في رحلـــة الصيد ... أصرت الأم على رفضها .. انه لا يزال صغيرا .. الطريق طويل الى البحر الاحمر.. كما انه لن يجد من يرعاه جيدا في تلك الرحلة . أخوه نادر سوف يندمج مع رفاقه في صيد الاسماك الفريدة ، التي لا تتوافر في أي مياه أخرى . ستخلب البابهم تلك الكائنات البحرية الرائعة ، متعددة الالوان وغريبة الاشكال .. سوف ينسوا احتياجات هذا الطفل الصغير . هذا هو رأي الأم .

نادر ، تبنى اخيه الاصغر روحيا منذ ولادته . أراد أن يكون له مثلا اعلى .. تعلق الطفل بأخيه الكبير .. يلازمه في نزهاته . يجلس بجانبــه اثناء استذكاره الدروس دون أن يزعجه .. يأتي بالورقة والقلم ويرسم أي خطوط .. يحاكيه .. لا يتناول طعامه الا اذا شاركه فيه أخوه الاكبر . وهذا الاخير ، يحبه بجنون . يحنو عليه كوالد وليس كأخ . يعلمه كـــل شيء جيد . يود أن يجعله يتحلى بكل الصفات الحسنة منذ الصغر . يريد أن يشب رجلا صالحا ذا شخصية قوية ... ربطت الاخين علاقة وطيدة من الحـــب والالفة والصداقة ، قلما تنشأ بين اثنين بهذا التفاوت الكبير من العمر .

الح نادر على والدته حتى تترك بصحبته وليد . وعدها أن يهتم بأمره. سوف يطعمه بنفسه مثلما تفعل هي . سيعد له مكانا مناسبا ليستريح فيــه اذا غالبه النعاس .. لن يدعه يبتعد عن أنظاره لحظة واحدة . اكد لهــــا هـــــــذا .

اذعنت الأم لالحاح الولدين . هلل وليد فرحا .. راح يقفز متسلقـــا

جسد اخيه .. يحتضنه يقبله سعيدا بالانتصار . اخذت الأم تعدد الارشادات والنصائح لابنها البكر ، في كيفية مراعاة طفلها الصغير « اخر العنقود » . طمأنها نادر .. انهم سيعودون قبل غروب شمس اليوم ذاته .

أعدا لوازم الرحلة . انصرفا مع أول شعاع ضوء ظهر في السماء ... توقفت السيارة . هذا هو الموقع المناسب ، نصبوا الخيمة .. وضعوا فيها حاجياتهم .. تناولوا السندوتشات .. رشفوا الشاي الدافىء من (الترموس) .. الصغير بينهم.. حذا حذوهم ..ثم انطلقيلهو في الساحة الفضاء الرملية .. تحيطها الجبال الشامخة .. ضخمة .. رهيبة .. صامدة .

أعد الشباب لوازم الصيد . القـــارب المطاط الكبير .. السنانير .. الطعم .. أهم شيء هو غذاء السمك الشهي (بعض الديدان ، أسماك نيئة مقطعة قطعا صغيرة ...) كل شيء معد . هوايـــة شيقة صيد الاسماك ، خاصة الانواع النادرة منها .

تعثر وليد وهو يجري . بكى .. هدهده اصدقاء أخيه . كلهم يحبونه. طفل لطيف المعشر .. ذكي .. مطيع ... صعد الجميع الـــى القارب .. غمس كل منهم سنارته في ركن منه ! مكث الصغير يراقبهم طويلا .. انتابه الملل .. اخذ يداعب صفحة الماء البللوري بأصابعه الرقيقـــــة .. الرفاق ينتظرون .. الصبر مطلوب لتلك الهواية بالذات . يرددون بعض الاغنيـــات المرحة . الطفل يطمع في المزيد من اللهو . يريد أن يستحم في البحر . يرفض نادر . يحزن وليد . يهتدي الاول الى الحل الوسط . يرفعه من ذراعيه يدليه في الماء . يغمسه حتى خصره ويجذبه مرات ومرات . الطفل سعيد . يمرح .يضحك. يداعبوجهالماءبتحريك قدميه. الاصدقاء يراقبونه بسعادة. القارب يهتز بعنف . شيء ضخم يعبر من تحتـــه . يحسونه . يضطرب الجميع . الطفل يرتج فجاة بين يدي اخيه القويتين.. يصرخ صرخة مدوية مبتورة . يجذبه أخوه بسرعة من الماء . لا وجود لنصفه الاسفل . يلسكب من اشلاء جسده الصغير ، بسيول من السائل القاني .

بائع الخبز المقدد

كنت اسير في الطريق قبل الغروب . صدري منقبض وقلبي حزين ...
لن أركب الترام او الاوتوبيس . لن اتحمل تكدس الاجساد وأنا في تلك
الحالة النفسية السيئة . سبع محطات سيرا على الاقدام كفيلة بأن تهدد
ثورتي . لكنها ستبتلع بركان ثورتي .

ثوب جديد . هذه المشكلة . النقود التي تدخرها والدتي لا تكفي
الا لثوب واحد . وطبعا سيكون لأختي الكبرى ! مبدأ خاطىء وغير عادل !.
لماذا تكون الاولوية دائما للابن الاكبر ؟! معظم الاسر تتبع هذا الاسلوب .
لماذا ؟! هل ذنبي اني ولدت بعدها ؟! وهل كان لي يد في اختيار ترتيب
ولادتي ؟! كيف يدفع المرء ثمن فعل لم يقترفه .. بل لم يكن له ارادة فيه
البتة ؟! هذا ظلم ! ظلم ! والله ظلم !!!

منذ الصغر تقدم لها الهدايا هي أولا .. تختار افضلها .. ثم تترك لي
ما لا يعجبها .. فتات المائدة .. لماذا ؟ لانها الكبرى ! معنى هذا انني
سأحضر عقد قران ابنة خالتي ، بنفس الثوب الذي حضرت به خطبتها منذ
عدة أشهر ! وربما اضطر ايضا لارتدائه في عيد ميلاد وليدها بعد عدة
سنوات !.. أود لو أمزق ذلك الثوب اربا .. اربا !!... لا يوجد عدل في
هذه الدنيا !... وسقطت من عيني دموع ساخنة ...

التهمت قدماي اربع محطات ، ولا زال صدري مفعما بنيران الغيظ ...
الشمس غابت وتركت وراءها سحابة ظلام .. خفتت دقات خطواتي على
الارض .. أصبحت اكثر بطئا ... عندما أصل الى منزل جدتي ، سأعرض
عليها مشكلتي .. اذ ربما يرق قلبها وتقرضني ثمن الثوب الجديد ...

انهك السير قواي .. ضاقت قدماي بالحذاء .. لقد بدأ ينزع الطبقة السطحية من جلدي حتى خرج منه السائل الشفاف . توقفت لحظة أتكىء على الجدار . آه ! احداهما تؤلمني جدا .. رفعتها أحاول توسيع الحزام من حولها .. واذا بي ألمح على مقربة عدة أمتار ، شيئا مكوما على الارض . تحققت فيه . رجل بجلباب رث .. رأسه مدلاة فوق يدين معقودتين ، تستندان على ركبته المنصوبة . ساقه الاخرى ، ممدة على الارض . ساق خشبيه . عيناه مفتوحتان تنظران الى أسفل ... أسفل ، على الارض ، قطع مبعثرة من الخبز المقدد صغير الحجم . كم ضخم من الخبز المفتت ،تنتشر اجزاؤه على مساحة واسعة من الرصيف .. وسلة كبيرة مائلة على جنبها ، خاوية الا من رغيف واحد .. لا زال منتفخا .. يعلو سطحه حبات من المحلب الاسود يزين وجهه الذهبي .

هوت قدمي المرفوعة . سرت ببطء نحوه . لم يلتفت الى وقع الاقدام المقتربة منه . تأملت ثانيا ذلك المشهد ... حاولت ان اقول له شيئا . لم أعرف ! ماذا يقال في مثل تلك الظروف ؟! كنت أبكي منذ لحظات لاني لا أملك ثمن ثوب جديد . والان ، هذا الرجل البائس ، لم تذرف عيناه دمعة واحدة . أمام رأسماله الذي تبدد في غمضة عين ، في لحظة سقوط السلة .. لكن صمته كان أبلغ تعبيرا من الدموع . فهو عاجز ، يسعى لرزقه طوال اليوم ، محملا على ساق ، وجارا أخرى مبتورة .. ومن يدري ، ربما يعول زوجة وأبناء ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر .. يحلمون بعشاء لذيذ يحضره لهم من رزق يومه الشاق . كيف يعود اليهم الان صفر اليدين ؟!

شعرت برغبة شديدة في البكاء .. لكني لم افعل . امتدت يدي بلا وعي الى حقيبتي ، وانا لا زلت انظر اليه .. فتحتها . اخرجت حافظة نقودي . افرغتها كلها فوق جلبابه المنبسط . ثم استانفت السير بخطوات ثقيلة حزينة .. كاني عائدة من تشييع جنازة .. ولكن ، لم أمض في نفس الاتجـــــــــاه .

مريم البنّا

من وراء الأشجار

أشباح من عالم الموتى

العانس السعيدة

من وراء الاشجان

وقفت برهة صامتة فقد اذهلتها المفاجاة . احداث الماضي بأسره تؤكد عكس هذه الحقيقة . الحقيقة التي اثارت في نفسها كثير من الذكريات الحزينة .

ولكن يبدو أن الحياة وهبتها الان املا جديدا بعدما اختفى الاول من الحياة وتركها حطاما ما الذي تراه الان . اشبح من الماضي يعود ليثبت السعادة في نفس معذبة . ام ارادت الاقرار ان تكفر عن جرمها وتبعث من اختطفته من الحياة من جديد تراه يسير بخطى بطيئة وكانه يحمل من الاحزان الكثير . يعود من حيث اتى وتعود هي الى عالم الاحزان . عاد الى منزله . يلقي بنفسه على الفراش حيث كان فريسة سائغة للنوم والكوابيس المفزعة .

يأتي الصباح ليشعل نار الذكرى من جديد يحتسي فنجان من القهوة ويذهب كعادته الى تلك الحديقة الجرداء يجلس على اريكة كادت أن تتحول الى حطام لو جلس عليها من كان في صحة جيدة ، أخرج غليون من جيب معطفه الاسود واشعله وكأنه يخفف من الآلام عن نفسه .

أمسك بعود الثقاب في يده وابتسم ابتسامة جمعت الكثير من المعاني لا فرق بينهما . الثقاب أجيد صنعه أما هو فجمع أشلاء نفسه من أجل الاخرين . مع حلقة الدخان السابحة في الهواء عاش في الماضي . سنوات طويلة لم يذق الا العذاب والحرمان . عليه أن يتحمل من أجل أبنائه الثلاثة. لم يتوقع منها ذلك فقد ارتضت حياتها منذ البداية وبعدما تأكدت انها امام فرصة ذهبية . المال بسلطته الغير مرئية جعلها تمقته بعدما رات الاخرين الذين اغدقت عليهم الحياة المال الوفير ومنعت عنهم الكثير لا ترى سوى

الجانب الظاهري من حياة هؤلاء الاشقياء لا هم لهم سوى المال . لا تقنع بالقليل وانما تريد المزيد . هذا المزيد كلفه الكثير ليالي طويلة يقضيها بين الاوراق راهبا في صومعة القلق والبحث المضني . دفع صحته وسعادته ثمنا لرغباتها المادية التي لا يرغب فيها سوى الغافلون الذين الهتهم الحياة بمظاهرها البراقة عن حقيقة لا يؤمن بها الا من أذاقته البؤس والحرمان . تساؤلات عديدة بلا أجوبة . ود لو عرف سر تغيرها المفاجيء . لقد ضحى برضا أسرته التي وقفت أمام رغبته في الزواج ممن لا تناسبه في نواحي كثيرة لكنه ترك لعواطفه حرية التصرف فقادته بهدوء الى الهلاك . لمحات الاسى والحزن على وجهه . دمعتان تنحدران على وجهه تبعثان بالشفقة والالم في نفس تلك الفتاة التي أيقظ في نفسها ذكريات ودت أن تكون في طي النسيان .

هذه المرة لم تترك للتساؤلات مجال للسيطرة عليها . تقف وتسير اتجاه . في نفس اللحظة تراه يستند على عصاه ويسير بخطواته المتثاقلة ويعود لمنزله المهجور . يلقي بنفسه على كرسيه الاثير وينظر الى النافذة. لا تظهر منها الا شجرة لم يتبق منها سوى جذع يابى الهلاك نظر الى الناحية الاخرى . الى حيث داخل الحجرة الكئيبة لا توجد سوى أدوية مهدئة كانت تتعطاها زوجته لتخمد بها شهواتها التي لا تنتهي . لم يكن يملك ليهدئها به فقد خلت يداه بعدما سلبته اكثر مما يجب . كادت الذكريات أن تتسلل خفية الى نفسه البائسة ولكن صوت الهاتف وقف حائلا دون ذلك . اقترب منه وفجاة انبعث ذكرى مؤرقة من مكان خفي جعلت الخوف من تكرارها يسقط سماعة الهاتف من يده .

يوم من أيام الماضي حيث سمع صوت لم يتبين ملامحه يطلب منه المجيء للمستشفى. يذهب مسرعا الى هناك فوجد زوجته تصارع الالام . ينتابه القلق ويستفسر عما حدث وسرعان ما عرف ما أثار الدهشة في نفسه . لقد اصطدمت سيارته بأخرى . ونظر اليها فوجد الرغبة في الهروب كاملة في عينيها . ما حدث لم يكن سوى محاولة خفية للهروب الى ذلك العالم المجهول . رغباتها المادية كانت تحول بينها وبين التركيز في الطريق

الملعون . مطالب مادية تلح على أذنيه هـذه المرة صوت المرضة التي تطالب وبمصاريف الاقامة والعلاج . عليه أن يعمل ويعمل من أجل انقـاذ حياتها . استدان الكثير كي ينفق على علاجها . تناسى اساءتها له. تناسى أنها لم تعترف به يوما كزوج له من الحقوق الكثير .

يوما ما وهو في طريق عودته للمنزل لمح احـد الاصدقاء . حاول أن يهرب من مقابلته ومن نظرات عينيه اللتين تحملان نفس المعنى الذي رآه منذ سنوات عديدة . نظرات الشفقة يوم سمع كلمات جارحة تصيبه دون ان يرتكب جرما . كل الحاضرون شعروا بالخجل والشفقة لما يدور بين ذلك المسكين وزوجته . الان شعر الزوج بقليل من الارتياح حينما استطاع أن يهرب من نظرات الشفقة في عيني صديقه فجأة تدخل القدر ليحول دون أي سعادة بعدما أصبحت زوجته سجينة الفراش . لم ينتابه اليأس بالرغم من تصريحات الاطباء . ضحى بالكثير من أجل محاولات سرابية لانقاذها من ذلك المصير الابدي . عاش حياته راهبا من أجل الاخرين . الايام تمضي في طريقها المفقود وتترك جراحا لا تندمل . لم تجد سواه لتحمله آلامها وعذابها . تحمل صابرا صار منهوك القوى من جراء العمل الشاق كي ينفق علـى مصاريف العلاج . شفائها أصبح معجزة لا تتحقق في نفوس استسلمـت لليأس . ومضت الايام وكأنها قرون طويلة تثير الملل في نفوس أبطالها . ود لو هرب الى ذلك العالم المجهول ود لو أراح نفسه من هذا العـذاب المقيم ولكن لا مفر له من العذاب الابدي الذي ينتظره هناك . فجأة اختطف الموت سجينة الفراش التي تحولت الى ذكرى مؤرقة عند بقايا الاخرين . غمرت الدموع وجهه . حاول أن يهرب من جديد . لم يعد له مكان سوى تلك الحديقة الجرداء هناك كان يستنجد بأشجارها الصامتة . ويطلب منها أن تقف حائلا بينه وبين ما تخبئه له الحياة من الالام . يجلس على تلـك الاريكة وفي صمت حزين يشعل غليونه . نظرات شاردة علـى الفضاء اللامنتهي . احساس بالضياع والوحدة والحزن الذي أورثته ذكريـات الماضي . لا يكاد يشعر به بعدما اتخذته صديقا لن تفارقه . شارد الذهـن وكأنه في انتظار تلبية نداء المجهول عبث ولا شيء سوى العبث . كـل ما في الوجوه يتجه بخطوات نحو العدم . صرخة واحدة أم صرخات تكفي

للتخفيف عما يجيش في نفسه من احزان وآلام . صامتا وتائها بين الماضي والحاضر والمستقبل . يتعجب على الايام وما تفعله بمخلوقات اللـــه . لا شيء سوى بقايا عشب . حطمتها اقدام الانسان الظالـــم واخمدت صوت الحياة فيها الى الابد . هناك في مكان منعزل رآها . تحمل في يداها كتاب يلمح اسمه ..... البؤساء .

هنا أوشكت الدموع أن تنهمر على وجهه . لكنه اعتاد أن يسقطوـــا داخل نفسه واضع ستارا بينها وبين الاخرين . لقد جمعت الاقدار المعذبين في هذه الحديقة وكأنها اشفقت على وحدتهم القاتلة .

لاحظ نظرة حزن في عينيها السوداتين . ود لو حمل عنهـــا أحزانهـــا .. فهي ما تزال صغيرة على هذا الحمل المميت . قانون الحياة لا يعـــرف الرحمة حتى على ابنائها الذين لديهم طريق طويل فيها . هم بالوقوف .... اقترب منها وحياها بابتسامة . تنظر اليه وترى عينيه تفيضتين بالحنان . الان شعرت بالسعادة فقد تأكدت أن من رأته لم يكن سوى حقيقة قـــد تعيد اليها توازنها المفقود . تتحدث اليه بصوت يملؤه الامل . دقائـــق معدودة وأصبحت تلك البائسة املا منشودا في نفس ذلـــك البائس . السعادة حالت دون التفوه بكلمات .... لا شيء سوى الصمت . عـــاد سعيدا الى منزله . هناك كانت الوحدة قاتلة وتكاد تدفعه الـــى الجنـــون لكنه اعتاد عليها بعد هروب ابنه الثالث الى عالم لا تحكمه سوى الشهوات الجامحة والرغبات المحمومة . الارهاق الجسدي يحوله الى فريسة سائغة النوم . استسلم له فهو يخمد الالام التي لا تحمدها الايام . يأتـــي الصباح وللمرة الاولى يستقبله راضيا بعدما اضيئت شمعة الامل في نفسه مـــن جديد . يدفعه الشوق الى تلك الحديقة الجميلة . يراها جالسة شاردة الذهن وقد حولتها الاحزان الى امرأة في التسعين . يقترب منها وللمـــرة الاولى يرى عينين تفيضتان بالحب والحنان . انستهما السعادة نظـــرات الاخرين التي تستنكر علاقة العجوز نجد هي في سن الزهور . ولكـــن

سرعـــــأن مـــا تحولت الى شقاء بعدها هاجمته آلام المرض . هم بالعودة الى المنزل تصحبه خوفا عليه من متاعب الطريق يعودان سويا وقــــــد تشابكت أيديهما . . وكأن حوادث الدهر التي المت بهما أودعت الخوف في نفسيهما من الفراق اللعين .

وجودها بجواره أنساه الامه القاتلة . تنظم له مواعيد الادويــــــة والطعام والشراب . الان حان وقت عودتها للمنزل . هنا شعر أنه فقــــد السعادة الى الابد هيىء لدانها لم تكن سوى سراب . يهرع الى عالم الخيال هربا من خناق الواقع القاتل . هناك كانت نعم الزوجة الوفية . فجـأة يرى ابنه يترنح أمامه بسبب كؤوس الخمر التي اعتاد أن يحتسيها . أراد الاب أن يحول الخيال الى حقيقة . اخبر ابنه برغبته في الزواج هنا تعالت ضحكات الابن هزءا به وتركه الى حجرته . هناك القى بنفسه على الفراش واستغرق في نوم عميق . ضحكات الابن لم تطفىء شمعة الامل في نفس أبيه يقترب من الهاتف ويطلب ابنه الثاني لا أحد يستجيب ...... يأس من الهاتف الصامت . الالام تحاصره وتوشك أن تهوي بـــه الى الهلاك . خطوات ووصل الى منزل ابنه يدق بقوة على الباب الرئيسي . امـــرأة في العقد الخمسين تستقبله . ابتسم لها ابتسامة لم يعرف سرها سواه . وقفت برهة صامتة ترحب به وتنادي زوجها الذي يرحب بأبيه . يجلسان سويا أمام المدفأة يرى نظرات شاردة في عيني أبيه . هيىء له أنها ليست سوى ذكرى الماضي الان معرضة أبيه ليست لها اهمية فقد تزوج تلك المرأة بعد حياة عاشها صارخا من أجل قليل من الحنان والاهتمام . لم يجد سوى أم انانية أعماها حب المال عن رعاية اولادها . لقـــد أكتفت بانجـــابهـــم وتركتهم يصارعون متاعب الحياة وحدهم . في الناحية الاخرى لم يجد سوى أبا الهاه العمل الدائم عن أبنائه الذين لهم من الحقوق المعنويــــــة الكثير . تزوجها بعدما اشبعت ظمأه للحب والحنان . نظر اليها وللمرة الاولــــى يلاحظ تجاعيد خطتها الايام على وجهها . تقدم لهما القهوة فيحتسينها فـــــي صمت . ينظر الى أبيه فيرى الشيب قد غطى راسه . الاحساس بالذنب يتسرب الى نفسه . شهور مضت لم يتذكر أبيه بزيارة أو حتى اتصــــال

تليفوني . تذكر أنه لم يكن هناك ما يحول ذلك .... لكن سرعان ما
قطع الاب هذا الصمت واخذ يصارح ابنه بأحاسيس نفسه وقبل أن ينهي
حديثه يجد ابنه قد تناسى الاداب والاخلاق ووقف غاضبا وقد تعالت
صيحاته يبدي اعتراضات غير منطقية ودون وجه حق . أصاب الاب الذهول
تذكر سنوات عمره التي عاشها مضحيا بذاته وسعادته من أجل أبنائه
ولكن الان عليه ان يعود من حيث أتى . هذه المرة يحمل الاحزان اكثر
مما يستطيع . ما أن وصل الى منزله حتى سقط مغشيا عليه . لم يجد
أحد يمد له يد المساعدة سواها . جاءت حاملة باقة زهور بيضاء .تسمع
انين حزين لا يصدر الا ممن اذاقه القدر كثيرا من بؤسه وعذابه لقد تأكدت
أنه هو الاخر يئن وسط ضحكات الاخرين . مسكين حقا ووحيد مثلي في هذه
الدنيا التي حرم قانونها السعادة على كثيرين . يئن من الالام النفسية
والجسدية التي لا تترك الناس الا حطاما . تحاول ان تخفف من أحزانه .
تقرأ له صفحات من كتب يفضلها تأتي اليه صباح كل يوم . أيام طويلة
مضت وهي بجواره تمنحه من السعادة الكثير . لقد باركت الاحزان هذه
العلاقة الروحية . بين الحين والحين ترى الدموع تغطي وجهه . تضمه بين
ذراعيها وتربت على شعره الابيض في حنان . السعادة والحنان أضاء
شمعة الامل من جديد يسرع بالكتابة الى ابنه الذي دفعه التمرد والطموح
الى الهجرة الى بلد أوروبي جاحدا بفضل بلده عليه . يكتب اليه على
أمل أن يحصل على موافقة بالسعادة الابدية التي عاش حياته محروما
منها ينتهي من كتابته ويلقي به في صندوق البريد . الان اصبحت مقاليد
الامور في يد الكلمات . يعود الى منزله ويتذكر جحود ابنيه وتحجر قلبيهما
ويترك العنان لدموعه التيتداوي جراح نفسه المعذبة . تأتي اليه لتجد
الالام تعتصر بقاياه . تجفف له قطرات العرق المتساقطة على جبهته .
ينظر اليها بعينين تحملان كل معاني الشكر والوفاء على عطائها العظيم .
عطاء دون انتظار مقابل عطاء من فتاة لم تجد من يهبها شيئا . فجاة يميل
برأسه في الاتجاه الاخر تناديه وقد تملكها الفزع . لا تسمع ردا ولن تسمع
الى الابد هذه اللحظة ايقظت فيها ذكرى اليمة . تذكرت اليوم الذي ضمها
فيه القدر لقائمة اليتامى المعذبين في الارض . تذكرت يوم حرمتها الايدي
البشرية من أن تودع أبيها الوداع الاخير . اختفىوتركها حطاما لا تجد من

يجمع شتات نفسها المعذبة . عاشت حياتها لاهسة للحنان والعطف فلم تجد سوى وحوش بشرية كاسرة . ويوم حنت عليها الاقدار وحولت الماضي الى حاضر .... يوم رأته في تلك الحديقة الجرداء حيث كانت تؤنسهما الذكريات التي حاولت أن تهرب منها ولكنها كعادتها تؤنس من الانتشو بأنفسهم الان شعرت بمدى ضعفها أمام تلك القوى الغير مرئية التي تحول البعض الى حطام يود لو ضحى بسنوات عمره من اجل لحظة مع العزيز المفقود .

لحظة .... وكانت حاجزا أبديا بين تلك اليتيمة وبين من احبت . القت بنفسها على صدره وانفجرت تبكي بكاء مريرا . يدخل الابن السكير الى الغرفة وفي يده خطاب من أخيه الاكبر . من بين السطور كلمات الرفض لمطلب الاب الاخير من أبنائه الذين علمتهم الحياة الانانية والجحود حتى بفضل اقرب . الموت وحده رحم شيخوخته وادركه قبل أن يصطدم بما لم يكن يستطيع أن يتحمله . يرى الفتاة تبكي . يتفوه بكلمات لها وقع الخناجر في نفس الصغيرة يأمرها بترك المنزل تنظر الى الراقد على الفراش ولكن الدموع تحول دون الوداع الاخير . ودعته وودعت الحنان الحب في تلك الحجرة الى الابد . الابن ينظر الى أبيه الراقد في عداد الاموات ويتركه الى الخارج . .في الخارج كانت تهرب من نظرات الشفقة التي تحاصرها من كل جانب . تركض الى أن تصل الى منزلها . .تدخل غرفتها باكية الان أدركت حقيقة الحياة التي تختطف من نحب وتسعد برؤيتنا نحترق شوقا الى الغائب الذي لن يعود .

حياتنا لا تصلح أن تقدم كفدية . نظل وراء سراب وحينما تظهر بوارق الامل ونتعلق بأحباله نسقط فجأة الى الهاوية . كلا منا يصبح همه أن يجمع شتات نفسه وفي النهاية لا نجد سوى القبر الذي يضمنا ضمته الحالية بعدما تطردنا الدنيا الى غير رجعة . لقد أدركت أن طبيعة الحياة تتطلب منا أن نملأ أفواه القبور الفارغة بأجساد من نحب . تبكي بكاءا تتخلله بعض الصرخات الاليمة تقترب أمها من الحجرة وتحاول أن تعرف سر البكاء المرير . اقتربت وكادت أن تفتح باب الغرفة ولكنها للمرة الاولى تأكدت أن هناك من يستمع الى خباية نفس ابنتها التي اعتادت أن تسقط

ذكرياتها وأحزانها داخل الاسوار نفسها .

تسمع حديث بين ابنتها واخر . الضحكات تتخلل حديثهما . وفجأة تسمع صرخة لا تنبعث الا من قلب مليء بالالام . تهرع الى الحجرة وفي الداخل ولا ترى سوى ابنتها وحيدة وكمادتها دائما . تحاول أن تعرف سر البكاء والصراخ . تفاجأ بما يميت تلك الرغبة القوية . لا شيء سوى كوب فارغ وبجواره مهدىء كانت تتعاطاه الام ليخمد آلامها الجسدية .... اخذته الفتاة ليخمد آلام نفسها المعذبة .

لقد اعتقدت أن الزمن كفيل بأن يبدد أحزانها ولكنه .... هنا توقفت عن التفكير حينما رأت أبيها والصديق الاخر يبتسمان أمامها . كلا منهم يفتح ذراعيه ليضمها في حنان وفي اللحظة التي كانت الالام تعتصر جسدها كانت تبتسم لهما في سعادة بالغة . وسرعان ما ألقت بنفسها اليهما ليصطحباها الى ذلك العالم المجهول ... هناك حيث السعادة الابدية وحيث لا فراق بعد اليوم .

أشباح من عالم الموتى

أخذ يقترب منها ونظرة كراهية في عينيه . يصارحها برغبته في الانفصال عنها. حاولت ان تجد تفسيرا لتغيره المفاجيء لم يعطها الفرصة لايجاد الاجابة. تحولت الكلمات الى صرخات في وجهها . توسلت اليه من اجل لا ذنب لهم . يأمرها بعدم التحدث مرة أخرى في هذا الموضوع . تتحدث اليه وكأنه حجر أصم . يصفعها على وجهها . سقطت المسكينة على الارض . نظر اليها وتركها الى الخارج . امتدت اليها يد صغيرة . شعرت بها وقبلتها في حنان . غمرت الدموع اليدين . ضمته الى صدرها في حنان . حاولت النهوض لكنها سقطت مرة أخرى، دقائق مرت كدهر صامت.كرامتها المجروحة أيقظت فيها رغبة قوية . قررت الرحيل . تنظر الى كل ما بداخل المنزل . كل شيء يوحي لها بذكرى ...... الذكرى أصبحت جزءا من نفسها لن تفرط فيها ولكن .... هنا انهمرت الدموع على وجهها وهي تودع منزلها . حملت طفلها وعادت الى منزل العائلة المهجور .

في الصباح تقف في شرفة المنزل لا ترى شيئا . فقد حجبت الاشجار الكثيفة ما في الخارج تتناول قهوة الصباح وتجلس صامتة في عالم يبعث كل ما فيه على الاحزان . ما ان ترى وجه ابنها حتى يرتسم السرور على وجهها . يجلسان سويا في شرفة المنزل هي وحدها ترى ما لا يراه . ذكرى من الماضي تحولت الى واقع أعادته اللحظات المريرة . اناس كثيرون يتوافدون على المنزل . الجميع يتخفون داخل الملابس السوداء . اثار الحزن بادية على وجوه بعضهم . يجلسون في صمت تتخلله ضحكات مكتومة من هؤلاء الذين عودتهم الحياة أن تظل مشاعرهم خبيسة داخل نفوسهم . عاشوا حياتهم غير مبالين بآلام الاخرين . قدموا الى ذلك المكان وكأن المواساة حفلا يدعى اليه كل من رغب في الترفيه عن نفسه .

هي وحدها تسلل الحزن الى قلبها واتخذ مكانا لن يبرحه . اختطف الموت والديها في حادث مشؤوم . نظرات الشفقة من بعض الذين عانـــوا مثلها مرارة اليتم تخلق فيها الرغبة في الهروب . تلتفت الى ما حولها فـــلا تجد مهربا من نفسـها ومن الاخرين . ودعت الحنان والحب الصادق الـــى غير رجعـــــة .

تعود الى الحاضر حينما ربت ابنها على كتفيها مطالبا اياها بالطعام . تذهب الى الداخل حيث تعد له الطعام . تعود لتجده قد اتخذ من احدى الصور القديمة لعبة مسلية له . تنتزعهامن يديه وتهرع الـــــى حجرتها . تدقق النظر في صاحبة تلك الصورة . صورة الفتاة التي انتشلتها من عالم الوحدة والاحزان .... صورة من حاولت أن تدخل السعادة الـــــى قلبها المجروح . تقربت اليها ولكن لغرض خفي في نفسـها . ولكن سرعان ما بدأت مظاهره الخارجية . تصطحب معها اخيها . هو الآخر اخفـــــى اغراض نفسه الدنيئة . أغدق عليها الحب والحنان . فسلب عقلها وسيطر علي حياتها . يمتدح قبح وجهها بطريقة ادخلت السعادة الى قلبها . للمرة الاولى تجد من يبدي بها اهتماما واضحا .

الوحدة حولتها الى غريق يلهث باحثا عن طوق النجاة . تقرب اليها فتعلقت به . وسرعان ما طلب منها الزواج . لا تجد ما يحول معه ذلك . وهبته كل شيء ...... لكنه لم يكن يريد سوى مالها . عطاؤها المـــادي حوله من صعلوك الى غني لا يحصى ما في خزائنه انتهت المصلحة وحقق اغراض نفسه الدنيئة . سرعان ما ظهرت حقيقته التي اخفاها خلف قنـــاع الحـــــب .

هنا انفجرت بالبكاء ولكن فجأة انبعثت صرخة في جوف الليل الصامت. تهرع الى ابنها الذي اعتاد على الكوابيس المفزعة واعتاد أن ينساها بيـــن ذراعـــي أمـــه .

اضاءت شمعة بيضاء وجلست بجواره على الفراش القديم . تـــروي لابنها من الاساطير القديمة ما اسعد قلبه .

بكاؤها المرير حولها الى فريسة سائغة للنوم . نام اليتيمان . خمدت احزانهما مؤقتا . جاء الصباح ليشعل نار الذكرى ومعه بدأت رحلة في بحور الاحزان . تساؤلات ابنها عن أبيه لا تنقطع تحاول أن تجيب عنها ولكنها تخفي الكثير من الحقائق الاليمة . يطلب منها رؤية أبيه فتحاول أن تحقق لــه رغبتــه .

تقترب من الهاتف وكادت أن تتراجع عن تحقيق رغبة ابنها . نظرت الى عينيه فوجدت الظمأ للحنان والحب الابوي . تطلب الاب . على الطرف الاخر تسمع صوت امرأة .... تردد الكلمات دون أن تسمع اجابة . وضعت المسكينة الهاتف بعدما سمعت صوت تلك المرأة ، تلك المرأة التي سلبتها كل شيء وتركتها حطاما .. الان تشارك حياة زوجها . تذكرت كم حاولت أن تعيد اليه صوابه المفقود . لقد ضحى بمن وهبته كل شيء من أجل تلك الحسناء . تسمع صوت ابنها يلح في مطلبه هذه المرة عليها أن تتمالك من نفسها . تطلب من تلك الحسناء مخاطبة زوجها . تلبي لها مطلبها وليتها ما فعلت . ما ان يسمع صوتها وهي تخبره برغبة ابنها حتى سمعت صراخه مطالبا اياها بعدم التحدث مرة اخرى . دقائق مرت اضافت الــى رصيد احزانها ما كانت في غنى عنه . تذكرت المشاجرات اليومية التي حولــت حياتها الى جحيم . لا يتورع عن الحاق الاهانات بها دون جرم ارتكبته . يداه القويتان لا تكفان عن الحاق العذاب الجسدي بها . ذكريات الماضي جعلتها تذرف دموعا غزيرة ، تمضي الايام وجراح الماضي لا تدمل . سعادتها الوحيدة كانت بسبب ابتعادها عن البشر اجمعين . تأكدت أن الحياة التــي تحياها ليست سوى مثوى للوحوش الكاسرة .... مسرح لا يمجد سوى الذين اتخذوا من الضعفاء دمية في أيديهم التي تنبعث منها رائحة الظلم .

يأتي اليها ابنها . مصاب بدهشة كبرى ويحاول أن يعــرف سر هذا البكاء المرير . تتهرب من مطلبه .... يلح عليها . فقدت المسكينة صبرها . اخبرته بالكثير الذي طالما ودت ان يكون في طي الكتمان .

الكلمات التي تفوهت بها أزاحت عنها حملا ثقيلا من الاحزان . أصبح يكره الرجال والنساء على السواء . ضم أمه الى صدره في حنــان وطبع

قبلــة على جبينها وتركها مستغرقة في نوم عميق يذهب بخطوات متثاقلــة ويجلس أمام المدفأة التي أشعلت في قلبه نار الكراهية . كراهية لكل ما في الحياة من زيف وعبث . ولو عرف سر كراهية وتنكر أبيه له . كتب عليه القدر ان يعيش محروما من حنان أبيه وهو على قيد الحياة . ود لو فقــد متاع الحياة بأسرها في مقابل ضمة حانية من أبيه . هنا انهمرت الدموع لتغطي وجهه البــرىء .

فجأة سمع صوت ينبعث من حجرة أمه . يهرع اليها ليجدها قــد سقطت على الارض . تصدر انينا لا ينبعث الا من قلب مليء بالاحزان . يضمها بين ذراعيه . تنظر اليه بعين يملؤها الحب تسيل الدموع علــى وجهها . توقفت دموعها واصبحت في عداد الاموات .

اطلق ضحكة اهتزت لها الجدران . سقط على الارض صار كجنين . استمر هكذا فترة لا باس بها . اقام من غيبته الطويلــة . القى نظــرة سريعة على ما حوله . اطلق ضحكات تدوي في القصر فجأة توقفت تلــك الضحكات على اثر صوت ياتي من بعيد . صوت يحبه كثيراً . انزوى في اقصى الحجرة وشرد بخياله فترة طويلة . قام من جلسته وحطم ما فــي الحجرة من اثاث قديم . الصوت يناديه مرة اخرى . هرع الــى البـــاب الرئيسي . يسير هائما بلا مأوى . يرى عجائب ما في الخارج الذي اشفقت عليه امه من اهوالـــه .

من بين الزحام البشري المتكدس .. ومن خلف الاصوات التــي تملأ الدنيا ضجيجا سمع صوت يناديه مرة اخرى . يأمره بالعودة الــى القصر القديم . هناك كان يبحث عن عنوانه وسط جموع الاوراق البالية . يعود الى الخارج . يسير مسرعا . يصل الى ذلك المنزل . دقات قوية علــى الباب الرئيسي . امرأة حسناء تستقبله .

امتلىء قلبها بالرعب فقد رات شبحا قد اطلق لحيته وبليت ملابســه وانبعثت منه رائحة كريهة . لم تسأله عن شيء لم يعطها الفرصة لذلك . اندفع بقوة الى الداخل . الصوت يلح عليه ويطلب منه مطلبا ثمينا . يرى

أبيه الذي تناسى أن له ابنا بحاجة اليه — الاب في حالـــة ذهول لـــم تدم طويلا . فسرعان ما اخترقتا جسده الطعنات القاتلة . هوى صريعا علـــى الارض التي افترشت بالدماء . الاب يسمع صوتا يمتدحه . يعود مسرعا من حيث أتى . ضحكاته تدوي في القصر . يقف أمام المرآة . يرتدي زيهـــا المفضل ويضع قليل مـــن الزينة على وجهـــه . جلس أمام المدفأة يحتسي القهوة في صمت ويحيك بعض الملابس البالية . الصوت يناديه يقف أمـــام المرآة ويمسك بسكين حادة ..... ويمغدها في صدره .

ارتسمت على وجهه ابتسامة ما . الدمار تنزف بغزارة يذهب مترنحا الى الحديقة ، الدماء تترك اثارها الخالدة علـــى الادراج . يسقي ورود الحديقة باغلى ما يملك . يرى ابتسامة على وجهها . يلقي بنفسه علـــى صدرها الحنون ويسقطان سويا الى الابد .



العانس السعيدة

لقد سئمت الحياة وهي ما تزال في مقتبل العمر . أدركت هذا الامـــر بعدما بحثت عن السعادة لسنوات طويلة فلم تجد سوى سراب .

لديها الكثير وليس لديها شيء . تلتفت الى ما حولها فلا تجد سوى متاع ثمين ضمها القدر الى قائمته. تستجدي الحب والحنان من اقرب الناس اليها فلا تجد سوى العذاب والهوان .

لقد فقدت الاب والأم معا . كلا منهما وهب نفسه لحياة مستقلـــة وتركوا الضحية الباكية تصارع مصاعب الحياة وحدها . فقدت كل شيء الا الدموع . دموعها الغزيرة تداوي بعضا من جراحها النفسية والجسدية. فقد اعتادت على ضرب ابيها المبرح بدون جرم ارتكبته . فلم يجد سواهـــا لتكون له منفسا عن متاعبه ومشاكله . لا تملك أن تفعل شيئا فقد أدركـــت تماما أن الحياة لا تساعد سوى الاقوياء والظالمين وانها لـــن تكون سوى دمية في يد الاقدار الظالمة وعليها أن تتحمل هذا العذاب في صمت اليم .

يأتي الليل الاسود وتبدأ رحلة العذاب والمعاناة . تحاول أن تجـــد اجابات لمئات الاسئلة في عقلها المتعب فلا تجد سوى متاعب تظهر في الافق. متاعب الصباح تأتي بكامل قوتها لتحطم بقاياها الصغيرة .

هذه المرة عليها ان تتحمل من اجل امها التي انهال عليها الاب ضربـــا أدمى جسدها . سقطت على الارض في غيبوبة تامة . نظر الى الاخـــرى واقترب منها . صفعها على وجهها . سقطت هي الاخرى على الارض .

أنين حزين تصدره كلا منهما .. الالم يعتصر بقاياهما . انتهى ذلـــك

اليوم الذي كتب له الخلود في عقل الصغيرة . عاشت حياتها مهددة من بطشه . الظمأ المعنوي يقتلها . تبحث عن أبيها فلا تجد سوى شبح يهلك من يراه . ودت لو وجدت من يحمل عنها ولو القليل من أحزانها . فقد عجزت عن حمل هذا العبء الثقيل . تبحث عن أمها فلا تراها سوى دقائق معدودة في اليوم الواحد فقد اكتفت بانجابها وتركتها تصارع الالام والشقاء وحدها . الدموع تنهمر على الصغيرة . الفراغ العاطفي يقتلها . تبحث عمن يروي ظمأها فلا تجد سوى وحوش بشرية كاسرة . ولكن هذه المرة وجدته شاب يكبرها بسنوات قليلة . أدرك نقطة ضعف هذه المسكينة . كثيرا ما تظاهر لها بالحب والحنان لغرض خفي في نفسه . هذا الحب والعطف اخفى عنها حقيقته اللعينة . ما زالت تمنحه الكثير وما زال يطمع في الاكثر . ايام عاشتها في الاحلام وفجاة تصطدم بحقيقته فقد وجد من هي اكثر ثراء . بعدما ابتسمت لها الحياة أدركت خطيئتها وعبست مرة اخرى في وجهها . تركتها وحيدة محطمة تبحث عمن يجمع شتات نفسها المزقة ، أصبحت تمقت الاخرين . عليها الان أن تتظاهر بغير ذلك . فهي في طريقها مع أسرتها لزيارة احدى الاقارب . هناك جلست صامتة ... وحيدة . الجميع يجلسون في الحديقة الا هي . فضلت البقاء بين الجدران التي تطوي احزانها . تلمح شيء يلمع من بعيد . تقترب منه ... ترى خاتم ذهبي . تضعه في جيب المعطف الاسود . تخرج الى الجميع وقد اعتلى وجهها ابتسامة ما . يأتي موعد الرحيل . تعود الى منزلها ... ضحيتها لا تشك سوى في احد الخدم وتطرد أحدهم .

حان وقتهم لرد الزيارة . يذهبون بأنفسهم حيث يصبحوا فرائس سائغة . تستقبلهم بابتسامتها المعتادة . تلمح ما في يد تلك السيدة العجوز . تغافلها وتفتحها . تأخذ ما بها من مال . تراها السيدة وتصرخ . يأتي الوالد ليصفعها أمام الجميع . كل من في المنزل يرحلون . كلا منهم عرف طريقه . تعود تلك السيدة وقد أقسمت على مقاطعة تلك العائلة الغريبة . اصبحت تمقت الاخرين . لعنت الحياة بأسرها . انفجرت بالبكاء . سمعت دقات على الباب الخارجي . وقفت أمام المرآة لتجفف دموعها . ولاول مرة تكتشف أمرا انساها العذاب والحزن اياه . الدقائق تمر بطيئة . الدقات

تتزايد . تنظر الى وجهها وتبتسم .

اتخذت من هبة الله لعنة تصيب بها الرجال أجمعين . صبت لعناتها المدمرة على جار لهم . يعيش مع زوجته واولاده . أوهمته أنها تحبه . وهبها حبه العظيم . لا يكف عن التطلع اليها من خلال نافذة منزله . بدأت المشاجرات مع زوجته من أجل تلك الجميلة . تركت الزوجة المنزل وبينما كانت راحلة مع أولادها كان هناك من يرقبها في صمت . وكانت تلك الخطوات المتثاقلة مصدر لسعادة عارمة في نفس ممزقة .

هذه السعادة منحتها املا جديدا .

حاستها الخاصة تؤكد لها وجود ضحية قريبة للغاية . استاذها في الجامعة . الذي اعتاد على الانطواء بعدما حاصرته الاحزان . هي وحدها أيقنت ما يحتاجه . وهبته الحب والحنان . تعلق بها فقد أذاقته ما عاش حياته بأسرها محروما منه . أغدقت الاكثر لتنعم بنتيجة اشد ايلاما . سعادة غريبة لا تبنى الا على حطام الاخرين . صارحها بعاطفته النبيلة . نظرت اليه بسخرية واتخذت من فارق السن حائلا دون الزواج . تركته فريسة للاحزان والدموع فهي ليست معتادة على علاج ضحاياها .

انتهت الدراسة الجامعية . تسلمت عملها في مكتب هندسي كبير . هناك جلست على مكتبها لتختار ضحيتها القادمة . نظرت الى الجميع وابتسمت . نظروا اليها بحب ولم يفهموا هذه الابتسامة ولن يفهموا هذه اللغة القاتلة .

سُليمان كابو

أموال الحكومة

دموع حائرة

"يكون الحب.. أو لا يكون"

اموال الحكومة

تاهت .. تاهت الحقيقة وسط جهلهم وسذاجتهم .. في قاع البحر الزاخر غاصت . . على سطح الموج الزائف عامت .. تاقوا اليها .. بحثوا عنها .. عبثا .. ضاعت ..ضاعت . اعينهم دائما يلتمع فيها بريق الغبطة والسكينة .. ونفوسهم دوما تفيض بالصدق والطمأنينــــة .. تسري في اوصالهــم الكلمـــة الطيبة سريان المياه في اغذارها .. وتتشرب نفوسهم الابتسامة الوديعة تشرب الأرض القاحلة غيوثها المنهلة .

ففي ضحوة من هذا النهار كانت الجمعية الزراعيــة بالبلدة تغص بفلاحيها .. في حجرة فيها «افندية» يقلبون صفحات دفاترهم في هدوء يشبه الوجوم .. حجرات اخرى تفتح ابوابها صوب الجالسين .. اجولة متراصة بعضها فوق بعض .. وآلات تشبه المضخات تقبع في الركن البعيد مـــن هذه الحجرات .. رجال يدخلون ..رجال يخرجون . مزق الصمت في الحجرة حديث بعض الرجال مع «قدري افندي» صراف القرية الذي دخل لتوه .. مناقشة هادئة سرعان ما استحالت جدلا .

خرج «قدري افندي» بعد ان وقع بدفتر الحضور وخرج معه خفيره المساعد «هنداوي» وقد انتويا القيام بجولة على هــؤلاء الفلاحين المدينين للحكومة بالاموال الاميرية .. طافا ببعض المنازل .. زارا بعض الفلاحين في حقولهم حتى كانا والحاج عبد الله يتحادثان ..

ــ سلام اللـــــه عليكـــــم .

فانبرى الحاج عبد الله من بين اشجار المشمش يكثر من السلامــات والتحيات وقد كلف ثغره الابتسام ووجهه الاشراق .. قال :

ــ يا اهلا .. ويا مرحبا .. شرفتنا يا قدري افندي .. شرفتنا يــا

هنداوي .. تفضلوا بالداخل تحت الشجرة الثانية .. هذه الشجرة أستوث ثمارها وهي لا تكف عن السقوط . قد تقلق مجلسكما .. الشجرة الثانيـة افضل ... تفضلوا .

وفرش الحاج عبد الله حصيرة تحت الشجرة فاقتعداها على الفـور وأعينهما ترنو الى حبات المشمش المتدلية فوق راسيهما والتي يتحلب لهـا ريقهمـا .

هب نسيم هفهاف فاستشرى في نفوسهم ، وجعلوا يتنشقونه في هيام واستمتاع ، وطفق الغصن الذي يتدلى فوق رؤوسهم يتمايل يمنة ويسرة في دلال ، فيرسل اليهم الفينة بعد الفينة ثمرة من ثماره اليانعة فيتلقفونهـا ونفوسهم تتوق الى التهامها وأعينهم تصوب النظر الى الاغصان كانهـا تستجديها في الا تضن بثمارها هكذا . صوب قدري افندي نظره بعيدا عن الشجرة وثمارها ، وجعل يحادث هنداوي فقال مصمصا شفتيه :

— الجو جميـل جـدا .

فقال هنداوي هامسا :

— والمشمش !.. المشمس اجمل .. يا له من طعم لذيذ !..

وعن كثب منهما كان الحاج عبد الله يتيامن مرة ويتياسر اخرى غير لاو على شيء ، فلقد أصابه الصمت، وكانما قد خشى على ثماره من اعينهما أو قل من بطنيهما، ان لم تكن اقفاصهما والمشمش في مستهل ايامه والكيلو يربو على الجنيه .. لكن لم يكن بد من أن ينادي الحاج ابنه قائلا :

— طبق مشمش من الشجرة «العمار» يا عشري .

وسرعان ما أحضر عشري طبق المشمش ، اصفر اللون ، شهي الطعم لذيـذة . وطفـق قدري افندي وهنداوي يلتهمان حبات المشمش فيمصانها مصا، وجعل الحاج ياكل معهما على فترات متقطعة ، فلقد شغله الحديـث عن الاكل ، وما هي الا هنيهة حتى أوشك المشمش أن ينفذ فامسك الحاج

عن الاكل كما أمسك عن الحديث .. لكن لا مناص مـــن مناداة عشري واحضاره طبقا اخر فأكلا حتى امتلأ بطناهما .. وتكلم هنداوي فقال :

ـ قدري افندي يعتبر من افضل الصيارفة الذين تبدلوا على بلدتنا .. رجل مؤدب .. محترم .. ربنا يديمه لهذا البلد .. ثم يشتك منه أحد ..

فقـــال الحـــاج :

ـ طبعا .. طبعا .. حقا .. حقا .. قدري افندي رجل مؤدب.. مهذب .. أينكر ذلك أحـــد ؟

ـ حينئذ قال الاستاذ قدري :

ـ بارك الله فيك يا حاج .. انت لنا والد .

وأردف هنداوي فقال :

ـ انسان طيب فعلا ..لكنه لا يجد حظه مع فلاحي بلدنا ..استغلوا طيبته في المماطلة ماذا يفعل مع هؤلاء الفلاحين الذيـــن تراكمت ديونهم ، وتعليمات الوزارة واضحة وصريحة : المحاكمة لمن يتأخر عن دفع الاموال.. ماذا يفعل قدري افندي ؟.. لابد ان يغير طباعه .

وعقـــب قدري افنـــدي فقـــال :

ـ الوزارة اصدرت تعليمات صارمة على الا تكون لها «مديونيـــات» متاخرة قبل عام ١٩٧٨ .. اعمل ايه ؟.. لابد من تنفيذ تعليمات الوزارة .. لابد من عمل محاضر لهؤلاء الفلاحين المتخلفين عن سداد أموال الحكومة بعـــد انذارهم .

واكتسى وجه الحاج هدوءا يشوبه حيرة .. فلقد أدرك أن قدري افندي لن يتركه يفلت من يده هذه المرة كسابقتها الا اذا نقده الثلاثة جنيهات التي اعتادها سنويا مع البطة المحمرة في الارز .

وتساءل هنـــداوي :

ـ كم حساب الحاج عبد الله يا قدري افندي ؟.. لقد مكثنا كثيرا .. لاتنسى أن الجولة طويلة ..

فهب الحاج عبد الله يقول :

ـ اسكت يا هنداوي .. لن تبرحا هذا المكان الا على الدار .. سنتناول الغداء معا .. هلم يا عشري ..

وقام الحاج عبد الله يرغمه وأسر الى عشري أن خذ بعض الملوخية الخضراء وبعض الطماطم وابلغ امك أن اذبحي ديكا كبيرا ، وحبذا لو كان الديك ذا العرف الطويل الذي اقلق الدار بصيحاته وصرخاته .. فلتذهب سريعا يا عشري ... قل لوالدتك حضرة الصراف .. سنأتي وراءك .

وعاد الحاج مفتعل البشر مبالغا فيه ، فبادره قدري أفندي بقول :

ـ لا وقت لغداء يا حاج .. سننصرف الان حالا .

وقال هنداوي :

ـ كم حساب الحاج ؟

فهمهم الحاج :

وقت ايه ؟.. وحساب ايه ؟.. قسما عظما لن ترحلا الا بعد تناول الغداء ، آنئذ قدم قدري أفندي كشف حساب لمديونية الحاج وقراه عليه فقال :

ـ خمسون جنيها أموال متأخرة عن خمس سنوات .. عشرة جنيهات عن كل سنة أليس ذلك صحيحا ؟

فبهتت معالم الحاج عبد الله وبدا ساكنا يراجع حسابه مع نفسه ثم قال :

ـ كيف يا قدري أفندي ؟.. عشرة جنيهات عن كل سنة هذا صحيح .. لكن انني أدفع ثلاثة جنيهات سنويا الا العام الماضي اذ دفعت جنيهين فقط .. أليس ذلك صحيحا يا قدري أفندي ؟

ولم يجد قدري أفندي ما يقوله ، لكنه سرعان ما فطن فقال :

ـ أقصد ما تبقى عليك بعد الذي دفعته .. عشرة جنيهات .. لقد رفعنا عنك الكثير . الاموال زادت يا حاج عبد الله .

وعاد هنداوي الى حديثه فقال :

ــ لقد طاولناك كثيرا يا حاج .. يجب ان تشكر قدري أفندي .. لولاه لكنت مضطرا لدفع المبلغ بالكمال والتمام .. يجب أن تحفظ له فضله عليــــك .

ــ فضله لا ننكره ابدا يا هنداوي .. لكن قدري افندي يبدو عليــه انه بينسى .

فقال قدري افندي :

ــ الحساب كده مضبوط بالمليم .. لا زيادة ولا نقصان .

ومد الحاج يده داخل جعبته فأخرج نقودا وقدمها لهنداوي ، ثم ما لبث ان تشاغل بالحديث عن حبة المشمش التي القت بها الشجــرة لفيض استواءها .. لكن هنداوي انثنى براسـه على قدري افندي وقال هامسا :

ــ ثلاثـــــة جنيهـــــات .

فانتفض قدري افندي قائلا :

ــ لا..لا.. اموال الحكومة .. مش ممكن يا حاج .. مش ممكن ..

فقال الحاج ولحيته الكثة المشذبة تتدلى أمامه وابتسامة ترتسم علـــى وجهـــــــه :

ــ بارك الله فيك وعليك يا قدري افندي .. انت الخير والبركة ..

فعلا صوت قدري افندي :

ــ اموال الحكومة .. اموال الحكومة يا حاج عبد الله .

واردف الحاج وابتسامته تزداد اتساعا :

ــ هيا بنا يا قدري افندي .. بعد تناول الغداء نتكلم عن امـــــوال الحكومـــــة .

فقال قدري افنـــدي جـــادا :

ــ اعفني من الغداء اليوم يا حاج .. لا متسع من الوقت .

فـــــرد الحـــــاج :

ـــ اعفيك ؟.. كيف ؟.. من ذا الذي يأكل غداءك المعد لك .. لـــك أنت يا قدري أفندي .

واستطرد الحاج يقول مازحا ضاحكا :

ـــ على العموم ادفع تكاليف الغداء .. وميعاد عرب .. والحق المتين ... و ...

فقاطعـــه هنـــداوي :

ـــ فلنتناول الغداء يا قدري أفندي .. لا تجعل الحاج عبد الله يغضب منا .. يعمل لنا ميعاد عرب ، ونصبح مدينين له بعد ان كان مدينا لنا .

فقال قدري افندي وقد بدا عليه اصرار من لا يريد تناول الغداء :

ـــ الحقيقة لا وقت للغداء الان .. وأنت تعرف يا هنداوي .

فنهض الحاج وأمسك قدري أفندي من يده باحدى يديه وامتدت يده الاخرى سباقه الى حقيبته فتناولتها وعنف قوته فاجتذب قدري افندي اليه، وضحكوا جميعا . ساروا مترجلين متحدثين ومحيين الجالسين من القـــوم تارة اخر والحاج عبد الله لا يفتا يتحدث في أمور كثيرة .. لكن قلبـــه يتحدث عن «مديونيته» وعما سياخذ منه قدري أفندي .. وعما اذا كـــان الديك يصيبم هدفه ام لا ؟

وصلوا الى المنزل .. دخان يتصاعد .. رائحة طبخ تعبق الانوف .. لحمة الفراخ تقلى في السمن فيكون لوضعها فيه فوران وخشخشة ، فتتهافت البطون على رائحتها ، اكلوا وقد تطارح قدري افندي والحاج قليلا مـــن الحديث ، لكن هنداوي غارق في الطعام غرقا ، فلقد ابى ان يتشاغل في اثناء الطعام ، فالبطن كما قال حاو وللاكل وقت وللحديث وقت آخر .

وبعد أن تناولوا الغداء احضر عشري «صينية» عليها من اكـــواب الشاي ثلاثة ومن الشاي براد ممتلىء ، فتناولها منه والده ، وشرع يترع الاكواب مبسملا ، وتناول كل منهم كوبه وجعل يرتشف .

وبينما هنداوي يترشف كوبه قـــال :

ـــ قدري أفندي : أظنك لا تعلم أن الحاج عبد الله يعتبر أحـــــد اقربائي .. فأمه تعتبر عمة المرحومة خالتي ، فلزام عليك أن تكرمه مـــا استطعـــت .

ـــ انا ما استطيع أن افعله هو ان أؤجل دفع الاموال المستحقة عـــن السنتين الاخاري ، اما السنوات الثلاثة السابقة فلا مناص من دفع الاموال المستحقة عنهـــا .

حينئذ تمتم الحاج عبد الله وابتسامة عريضة تطالع وجهه :

ـــ كيف لا تستطيع ؟.. أنت كل شيء .. أنت تستطيع أن ترفـــع عني كل هذه الاموال الصرف ؟.. هو الصراف شويه ؟.. لا يا قـــدري افنـــــدي .

فقـــال الاستاذ قـــدري :

ـــ الصراف لا يملك اكثر من تنفيذ تعليمات الحكومة .

وقال هنداوي وهو يرنو الى الحاج عبد الله :

ـــ هل تظن أنهم سيتصرفون كما يشاءون .. التعليمات.. القوانين.. لزام عليهم تنفيذهـــــا .

وظلل الجميع صمت بضع دقائق بعدها قال الاستاذ قدري :

ـــ ثلاثين جنيها ، وساوجل الباقي .. ايرضيك هذا يا حاج ؟

فدندن الحـــاج :

ـــ ثلاثين جنيها وتؤجل الباقي .. منين يا قدري أفندي ؟

فانثنى هنداوي على الحاج وقال هامسا :

ـــلا تضعه في حرج لانه ينتوي عمل مخالفات لجميع المتخلفين عـــن السداد .

فاكفهر وجه الحاج وهو يدنـــدن :

ـــ حرج .. حرج ايه ؟.. ثلاثين جنيها .. منين ؟

فأسر هنداوي اليه قائلا :

ـ ساطلب منه ان يصبر عليك اسبوع اخر ..

وعلا صوته مكملا :

ـ جميع الفلاحين بالبلد .. السداد او المحاكمة ..

وصوب بصره الى قدري افندي واستطرد :

ـ الحاج سيدبر المبلغ خلال أسبوع ان شاء الله .

حينئذ تساءل قدري افندي :

ـ ايوم الاربعاء القادم أذا ؟

فغمغم الحـــــاج :

ـ بمشيئة الله .. ان شاء وعشنا حتى يوم الاربعاء .

وانصرفا وخرج الحاج يودعهما ، ولسانــه يقول : شرفتمونا ... بالسلامة ، وقلبه يقول : اذهبوا .. عليكم لعنة الله .. لا شرف ولا سلامة .. حار ونار الديك ذو العرف الطويل .. آه يانا يا خسارتي يانا .

وبعد وداعهما قفل راجعا حتى دلف الى عتبة داره فالتقى زوجتــــه الحيزبون تصطرع مع نفسها على الديك ذي العرف الطويـــل ، فهي ترى ان أولادها أحق بأن يطعموا به ، وانهم قد سئموا ذلك الصراف المـــــزوار وزوراته التي لا تعود عليهم الا بالخراب .

وأطبق الحاج جفنيه مستسلما لنعاس أو قل انه ضجران ، فها هـــــو في انتظار «قدري افندي» حين يعود يوم الاربعاء المقبل .

وفي صبيحة يوم الاربعاء كان قدري افندي وهنداوي يقرعان بـــــاب الدار فلم يعثرا عليه . بحثا عنه في الحقل .. وفي كل مكان ..سالا عنـــه كل الجيران .. عبثا كان البحث .. وعبثا كان السؤال .

جن جنون قدري أفندي .. ثارت ثائرته واهتاجت نفسه .. بلغ بـــه

الضيق مداه والغضب منتهاه ، فأقسم ونفسه مفعمة بالغيظ أن يأخذ معه القانون مجــراه .

وفي صبيحة يوم السبت التالي كان الحاج عبد الله ممتثلا أمام ضابط بوليس القرية يدلي بأقواله لامتناعه عن سداد الاموال الاميرية .

وما هي الا ايام قلائل حتى كان الحاج في مكتب وكيل النيابة ينتفض ويختلج وقد سالت نفسه هما وكمدا ... وغشيت عينيه سحابة من ظلام دامس .

وارتمى متهالكا على الارض .. ارتمى مخبولا لا يدري ما يقول عندما وجهت اليه تهمة التهرب من سداد أموال الحكومة .



دموع حائرة

دمعـــت عيناهـــا ..

فأخرجت «نهلة» منديلها وجففت عبراتها ، ثم ابتلعت ريقها . ابتلعته كما لو كانت ازدردت غضة حياتها .. تنهدت تنهيدة ارتياح وهي تعيـد تجفيف ثناياها بمنديلها ، ثم سبحت في الفضاء اللانهائي البعيد تبحث فيـه عن شيء ما كانت شاردة .. مهمومة ، وكانت نظراتها الحزينة الشاحبة المخضلة ببقايا الدموع تشي بالغموض والحيرة يكتنفان حياتها .

انه لامر تغلغل في كيانها فأصابها في صميم نفسها بداء الصمت وأحال جمالها الاخاذ الآسر الى مستودع للشحوب والاكتئاب والدموع من آن لاخر.

بغتة .. وبينما هي على حالها ، ناظرة الى لا شيء ، باحثة عـن شيء في فضاء حياتها الرحيب ، انهمرت الدموع مرة اخرى مـن مآقيها ، انهمرت فياضة ، وأجهشت «نهلة» اجهاشة مرة اهتز لها بدنها كله .

يا لدموعك المدرارة يـــا نهلـــة !

تبكين وتلتاعين .. تتعذبين ولا تقولين .

بئس ما تطوينه في وليجة نفسك !

تدمع عيناك فتدمع عيناي وما تدركين !.. يختلج فؤادك فتتمزق نياط قلبي وما تشعرين !.. تتالم نفسك فتدميني .. لكن أتعرفين :

نهلة : كيف تخفين أمرك عني !

ليست هذه هي المرة الاولى أراك تستسلمين لاحزانك !

مـــا خطبـــك ؟

ومـــــا أمـــرك ؟

كانت في هذه الساعة تقتعد كرسيها وتطل من نافذة الحجرة .. حجرة شقتها المطلة على الشارع بالدور الرابع ، وكنت أنا أرقبها من خصاص نافذة شقتنا بالدور السادس في المبنى المواجه لدارهم ، حيث اراهـــا ولا ترانـــــــي .

وكان الوقت أصيلا من أصائل شهر مايو ، والشارع يرفل في حلة من السكون ، ففي هذه الساعة يلوذ معظم السكان بالحدائق ليتنسموا نسيمها العليل وبتضمخوا بعطرها الجميل .. وكانت السماء فوق الشارع تنحني على شكل قوس أزرق ظليل يموج بالاسرار ويعج بالاخبار .. ما اشبهـــه ببحيرة يفيض عبابها وتتقافز داخلها صنوف من الاسماء وربما الافاعي .

واسترسلت «نهلة» تناجي أفكارهــا ..

تختلس الاسرار من الكون الهادىء الوديـــع ..

تصطاد من ماء البحيرة ...

لكن .. هل تصيدت نهلة أسماكا أم افاعي ؟

هل راسلتها السماء أحلاما وردية أم داهمتها بأخبار حزينة سوداء ؟

* *

كنت أنا صديقا لامجد أخي نهلة ، وكانت صداقة مخلصة ، حميمة ، ودودة ، شبت مذ كنا معا في المدرسة الثانوية .. نمت وترعرعت ... بلغت أوجها حين أصبحنا معا طالبين في جامعة واحدة وفي كلية واحدة ، وأصبحت نهلة طالبة في الثانوية العامة . ربطتني بنهلة علاقة فطرية كتلك التي بين أي شاب وأية فتاة . كانت في بادىء الامر صداقة ، ثم استحالت حبا .. حبا عارما .. عاتيا .. مذيبا ..

ثم استحال هذا الحب الطاغي الى رغبة في خطبتها والزواج منها .. الزواج منها رغم معارضة أسرتي معارضة عنيدة في الا اقترن بهذه الاسرة .

وتقبلت أنا الامر على مضض ، تقبلته لحبي اياها .. حبي اياها فقط ،

فلا تسخر مني ان قلت لك انني ممن يلهثون وراء الثراء والمركز المرموق .

فالزعفراني « والد نهلة » رجل ثري ، فهو يمتلك عمارتين ، لكنه لا يهتم بمظهره أو حسن هندامه ولا يشغل منصبا مرموقا ، بل لا يعرف لــه عمل على وجه التحديد .

* *

هزني بكاء نهلة ، زلزل وجودي ، عصفت بكياني . لا لانها تبكي .. لكن لانها كثيرا ما تبكي .. كثيرا ما تستسلم لدموعها . ان في الامـــر شيئا يا نهلة ..

هبطت الدرج .. هبطته كملتاث .. كمخبول .. انتويت أن أجالسها هذه الساعة وليكن ما يكون .. لكن أمجد ؟.. أبوهــا ؟.. تمنيت .. والحقت في التمني الا يتواجدا هناك في هذه الساعة التي يعتصر فيها قلبي .

كنت اتابط كتبي متذرعا بالمذاكرة كعادتنا .. فلقد تعودنا طيلة حياتنا أن نذاكر معا ، نسهر معا ، واذا هفا النعاس براسي أو براسه فلا ضير أن انام او ينام حيث كنا ، واذا شعرت بالجوع فلأطلب انا أو يطلب هو .. سواء كانت حجرتي أو حجرته .

ارسلت رنين الجرس .. فلم ينفتح الباب . انفرجـت اساريري ، وتنفست الصعداء ، فلو كان بالداخل غير نهلة لانفتح الباب ، وما اظـن الا انها قابعة هناك تحت الشباك ، ولابد أنها تجفف عبراتها الان قبـل مقابلة الطارق .. وارسلت جرسا طويلا .. طويلا .. وانفتح الباب .. طالعت امجد قبالتي .. يا لحظي العاثر المنكود !.. غامت الدنيا أمام عيني .. اهتزت جوانحي غضبا .. تصافحنا وانا اقول :

نائم حضرتك ؟ فاجابني يقول : لا .. محاضرة الميتافيزيقا اثقلتني .. ضجرت منها . وجزت ردهة الشقة ونفسي تخفق ، ووجيب قلبي يتزايد ، واعصابي ثائرة مستوفزة ، بي رغبة جامحة لمجالسة نهلة الان ..

ودخلت حجرة أمجد وانا اكثر من اللغو والضجيج ، عساها ان تخرج

لمقابلتي ، لكن الفترة طالت ، وطال مكثي مع أمجد ، وطالت المناقشة في درس الميتافيزيقا .. ولم تخرج نهلة !.. اقبل الليل ، واقبلت معه الحيرة ، فما اعتادت أن تغيب هكذا عندما تستشعر وجودي ... ماذا حدث ؟.. ماذا عرض ؟.. ماذا غيرك يا نهلة ؟

وتناوشني الاضطراب ، وأخذ الياس يختفي .. ساورتني الشكوك .. ماذا ؟.. هل دخل حياتها انسان اخر ؟.. هل تقدم لها أحد غيري ؟

وبينما كنا جالسين .. أمجد غارق في استيعاب درسه .. وأنـــا بجواره بجسمي .. جسمي فقط ، فعقلي هناك ، عقلي مع نهلة ، يناجيها، ويحادثها ، يسائلها عما غيرها .. عما بدلها ؟.. حينئذ ابتدرت أمجـد اساله : اين نهلة ؟ فلم يجب .. فلقد كان منهمكا في درسه .. فعــاودت السؤال : أين نهلة يا أمجد ؟ وقبل أن اسمع صوت أمجد جاءني صــوت نهلة من الداخل يزجي الي تحية المساء ، فرديت التحية وقلبي يخفق ونفسي تتوق الي رؤياها .. الى معرفة ما يختلج في وليجة نفسها ويجعلها هكذا منتبذة .. طريدة مجلسنا على غير عهدي بها ؟

ودلفت نهلة الي حجرتنا .. بدت كقطعة من الماس تتلألا تحــت الاضواء الساطعة كالقمر ليلة النصف .. كانت تتضوأ وسامة وتتضــوع فتنة .. كانت حيويتها المتقدة الكامنة في جسمها الخصب الريان ، وعينيهــا النجلاوين الناعستين ، وقوامها اللين كغصن يتماوج في دلال تثير في نفسي حبا على حب ، وشغفا على شغف ، وهياما على هيام .

لا ادري !

كانت نهلة جميلة في هذه الليلة عن ذي قبل !

ولا ادري !

لا اثر للشحوب أو الدموع على وجنتيها أو على ثناياها !

واختلست منها ابتسامة وهي تطارحنا الحديث .. ابتسامة مـــن

شفتيها الجميلتين الشهيتين .. ابتسامة أودعتني خلالها الحب والاخلاص والطهر الملائكي .. تسربت الابتسامة من ثغرها الشهي .. تسربت خلال الهواء .. تسربت فواحة الى نفسي .. الى قلبي .. وعقلي .. وحسي .. استشرت في جسدي كله ، فانتفضت جذلا ، وقد فاضت نفسي سرورا وسعادة لا تعدلهما سرور الدنيا وسعادتها ..

تجاذبنا الحديث وقتا ليس بالكثير ، ثم صدرت نهلة عن مجلسنا دالفة الى حجرتها وكتبها .. وتركتنا لكتبنا ومحاضراتنا .. نقرأ ونستخلص .. نناقش ونستفسر . وظللنا هكذا حتى هزيع من الليل .

تناولنا أثناء ذلك عشاء خفيفا ، ثم هفا النعاس برأسي فترنح ، وتثاقل جفناي فأرخيتهما .. كان اذن لا بد من الراحة ، فأومأت الى أمجد أن دعني أنام ساعتين ، وطلبت منه أن يوقظني عندما تقترب الساعة من الثانية .

اضطجعت على سرير أمجد في حجرتنا ، والتحفت بلحافه ، وتوسلت الى نفسي أن تهدأ ، وأن تخلع عنها ثوب الوساوس .. وساوس الامتحانات والحب معا ..وأن أروح في سبات ..

ليتني نمت .. ليتني نمت ..لكن انى النوم مني !.. على كل .. فقد تظاهرت بالنوم .. تظاهرت بالنوم عندما كان ما كان .

* *

كانت الساعة قد اشرفت على الواحدة ، وكنت قد غلبت النوم فغلبني .. كانت نهلة تتردد على حجرتنا الفينة بعد الفينة ، تارة تقدم لنا أقداح الشاي ، وطورا تتفكه معنا عساها تسري عن نفسها ، وتزيل تلك الغشاوة الجاثمة على قلبها .. غشاوة الامتحانات .. وقلق الامتحانات. لكن في هذه المرة الاخيرة أدركت نهلة أنني نائم وأن أمجد وحيد الحجرة .

* *

ربــــاه !

ان ما حدث حقا يثير العجب من نهلة .

وما أظن الا ان الثورة كانت جامحة ، والنفس مهتاجة ، والاعصاب بلغ بها التوتر مداه ، وأن الامور ساعتها كانت لا تزن بميزان العقل ، فخرجت نهلة عن طورها .

رن جرس الباب، وجلجل رنينه بالشقة ، عندئذ فتح الباب ..باب الشقة الخارجي .. وانفجر صوت حبيس مكتوم .. صوت مغتاظ كظيم.. دمدم صوت نهلة خفيضا :

ــ كنت فين يا بابا ؟

ــ ....

واحسست حركة اقدام على الارض في الردهة الخارجية .. لم يعبا الاب بصوت ابنته .. لم يكترث .. لم يجب على سؤالها .

وانفجر صوتها عنيفا كتوما :

ــ كنت فين يا بابا ؟

ــ لم تسالين ؟

ــ من حقي أن اسأل .

فضحك الاب ضحكة هادئة بينما جن جنون نهلة وجعلت تهدر مخفضة الصوت :

ــ كنت فين ؟.. ثم ما هذه الاسمال التي تتأبطها ؟

حينئذ .. حينئذ فقط عندما صافحت مسامعي وأمجد هذه الكلمة انتفض امجد واقفا ، واندفع خارجا ثم أوصد الباب خلفه .. غمغمبصوت هامسا كمن يكتم خبرا :

ــ نهلة !.. نهلة !

فصاحت نهلة كمخبولة :

ــ خلاص . خلاص يا أمجد .. ضقت بهذه الحياة .. ولن أبقى عليها .

وشهقت شهقة متحشرجة تخنقها الدموع ، ثم هرعت لائذة بحجرتها

وهي تنشج نشيجا متقطعا مرا، نشيجا تلتاع له النفس ، ويقشعر لرؤيته البـــدن :.

ولاحقوها بحجرتها .. أمجد وابوه وأمه ثم اوصدوا باب الحجرة في هدوء .. حينئذ أصخت سمعي .. ارهفت أذناي .. حبست أنفاسي .. وجعلت أسترق السمع استراقا .. قالت نهلة وصوتها يكتنفه الحرقـــة واللوعة والالم والاسى .

ــ محال .. محال ما يحدث هذا !

فقاطعتها الام تلاطفها وتهدىء من روعها .. لكنها استرسلت وصوت الدموع يصافح مسامعي قويا :

ــ ما قيمة الحياة بلا كرامـــة :

وصاحـــت :

ــ أين كنت بالامس يا ابي .. وقت الظهيرة ؟.. الـم أرك تتسول بالمكتبة عندما كنت وعزة زميلتي نشتري بعض المراجع.. الم يحدث هذا ؟ الم يحدث !.. وانتابتها نوبة بكاء مرة اخرى كمن اصيب بحالة هستيرية .

وانفجر أمجد هو الاخر غير واع لما يقول ، وكانما نسي وجسودي بالغرفـــة :

ــ بابا .. حذرتك مئات المرات .. أقسم لك انني لن اقيم معك في دار ، ولن ترى لي اثرا ، ولن اعترف بك ابا اذا تماديت في غيك ... أعلمـــت ؟

فقال الاب في نغمـــة ساخرة :

ــ يجب أن تعرفوا يا من تتعالون علي الان .. انني نشات لم أجد قوت يومي .. كنت أنام على الارض وفي الشوارع .. لولا ما افعلـــه الان ما كانت هذه العمارة او تلك .. وما كان تعليمكم هذا الذي جعلكم تترفعون علي وتتنصلون مني .

وبغتـــة ارتطم صوت الباب .. ارتطم عنيفـــا ، فقد صفقه أمجـــد بعصبية عندما خرج .

وأز أزيز باب حجرتنا ، وقبل أن يدلف اليها أمجد أرسلت أنفاس على سجيتها عالية ممتزجة بغطيط مضطرب ، مصوبة بكلمات لا معنى لهاموها عليه أنني أسير أحلامي ، مستغرق في منامي .

* *

اعتمل الامر في نفسي ، تحابك وتشابك ، وتجلت لي حقيقة ما كنت ادريها ، حقيقة مرة لاذعة ضربتني في صميم كياني .. صعقتني .. فتكاثفت وتراكمت على نفسي أفكار سوداء قاتمة ..

سوداء كليل مدلهم حزين .. وتذكرت ابي الذي طالما اعترض .. وانا الذي قبلت الامر على مضض !..

يا لها من حيرة .. ويا له من اضطراب !

الحب يجذبني .. وذاك الامر يردعني !

واخيرا اتخذت قراري .. اتخذته .. اتخذته وسط أفكار عاصفة هوجاء .

* *

افضت الي نهلة عصر يوم بانها في حاجة ماسة الى الخروج للترويض والجمام فهي كما قالت مكتئبة وحالتها النفسية سيئة ، فلم أعارض ، بل رحبت أيما ترحيب ، وأسبغت على طلبها فيضا من سرور وسعادة وحبور .

سرنا نهيم على شاطىء النيل .. نضحك فيضحك معنا الحب .. نبتسم فتتراقص السعادة على وجوهنا وتغيض الاحزان من نفوسنا .

كانت اشعة الشمس واهية هادئة وديعة تتلون بلون العصفر مؤذنة بمغيب .. تراسلت الينا تلك الاشعة الخافتة ممزوجة بنسمة عليلة فطابت نفسانا ، فاقتعدنا الشاطىء نتوسم هذا الكون الشاعري وتلك الامواج المتلاحقة المتطامنة ، وهبات الهواء الجميل تضفي على نفوسنا الهدوء والسكينة .

قالت نهلة وهي لا تفتأ تطالع أسرار البحر في سكون وشرود :

ـــ تتبدد أحزاني عندما تحتويني النظرة الى البحر الضاحك والطبيعة الوسنانة . قلت وأنا أمعن النظر في جمال وجهها وقد زاده الشحوب جمالا :

ـــ ولماذا تتكلمين عن الحزن ؟

فأشاحت بوجهها عني .. وتنهدت وشخصت الى السماء كأنها تناجيها أو تراسلها سرا .

— قلت : تغيبين عني .. تشردين وتفكرين .. ماذا يعتلج في نفسك؟. أهو الحب ؟

— الحب والحزن معا .

— يجب أن يندحر الحزن اذا كان الحب .. أفصحي .. بوحي .. ما يضيرك يا نهلة ؟

رنت الي وهي تعض على نواجذها .. قالت :

— أبي .. أبي مصدر لوعتي وحزني .

وانتفضت تبكي وتشهق كصريعة .. وتفجرت ينابيع الدموع تغرق خديها الشاحبين الجميلين ..

تمتمت وسط الدموع :

— مريض عجزنا عن علاجه .. به مرض اسمه «التسول» ..

واستطردت والدموع تنهمر :

— فليمت حبي .. وليمت حبك .. ونظل صديقين ..

قلت وانا الاطف خدها وأجفف دموعها وأرميها بابتسامة حب صادق :

— وما لحبنا وما تقولين يا نهلتي ؟

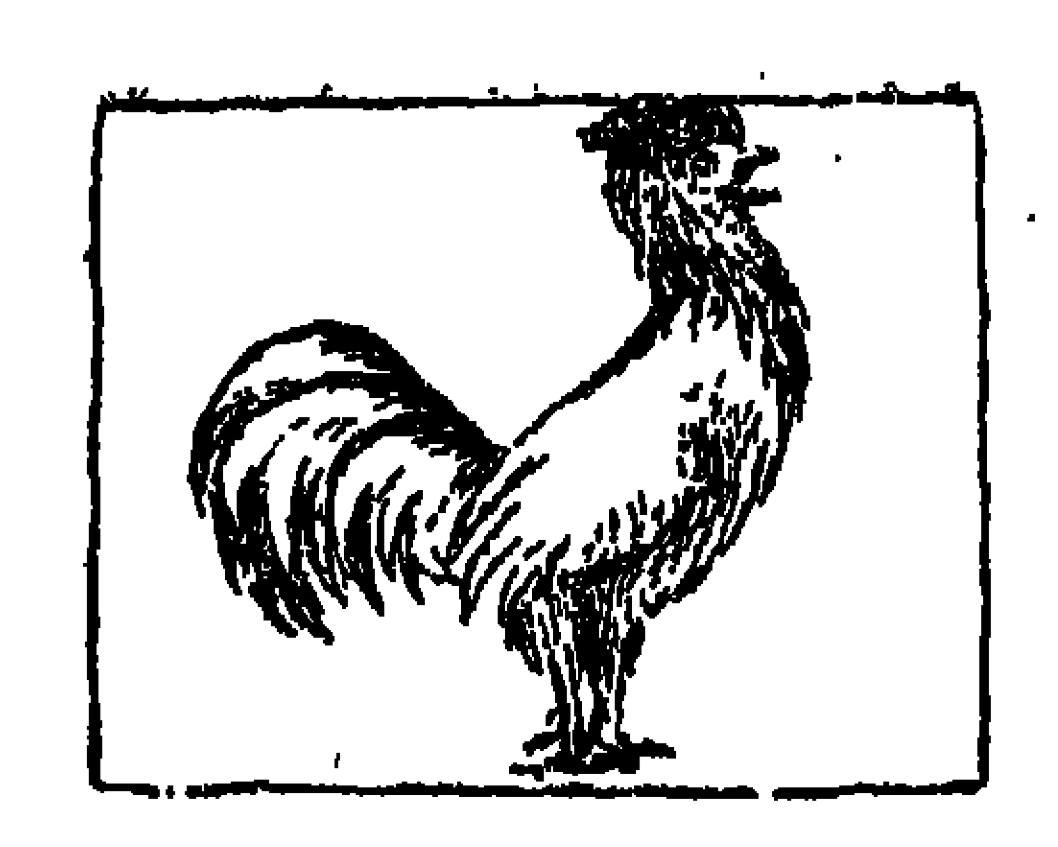
واتسعت ابتسامتي تحتويها .. تمتص آلامها .. ويدي تمسح على شعرها وفمي يلثم يدها البضة والكلام ينساب مني وديعا :

— ان حبي اياك حب أزلي لا تعبث به الظروف والايام .. هو مناجاة الروح للروح .. الا تعلمين يا حبيبتي أن الارواح تربأ بنفسها عن مظاهر الحياة الرتيبة .

وكانت نهلة في غضون ذلك تتملاني صامتة .. تغوص في أعماق عيني مطرقة .. ووجهها الصموت الهادىء الجميل يستنيم ناطقا بأسمى معاني الحب .

ومالت برأسها على صدري نلتحف الظلام ونسترق الاحلام ، فطوقت عنقها بذراعي وأنا أربت شعرها وخدها ، ثم طبعت قبلة علـــى جبينهـــا الوضــــــاح .

ووقفنا فتحادينا ، وأنا أتأبطها ، ثم صدرنا عن المكان .. صدرنا عن المكان وقد ترعرع الحب في قلبينا عنيفا أقوى مما كان .



« يكون الحب .. أو لا يكون »

تواثبت داخلها الفرحة ، فرقصت أعضاؤها وضحكت حواسها .. حدقت في الاعلان مرارا « مطلوب سكرتيرات حسناوات للعمل بدولة عربية » .. أن تكون حسناء هو كل ما في الامر .. ولا بأس فسلوى جميلة ولا يختلف على ذلك اثنان .. رشيقة أنيقة .. قوامها كغصن يتماوج .. عيناها نجلاوان آسرتان .. أنوثة فياضة .. بل سحر واختلاب .

ساعتها تغير وجه الدنيا في عينيها ، غاض الفقر المدقع من مجال وجودها ، ستسحق الفاقة والعوز ، ستبني مع حبيبها وخطيبها اجمل بيت للسعادة ، سيشتفان معا كأس هنائهما ، وسينهلان سويا من ينبوع حبهما . فمنذ سنوات طويلة وهما يحلمان ويتطلعان ويمنيان نفسيهما الاماني .. وكلما لاح في افقهما ذلك الكابوس «كابوس الفقر» اقشعر بدناهما ، وارتاعت نفساهما ، وظنا انهما أبدا لن يبنيا للحب كوخا او للسعادة عشا .

دوما كان يقول لها : الحب زهرة .. والمال هو الطل المترسل عليها .. والزهرة بدون الطل تذوي وتذبل .. فتضحك سلوى وتقول : لا يا حبيبي .. لو ذوت أزهار العالم سوف لا تذوى زهرة حبنا .

في هذه الساعة قرات سلوى الاعلان ، فحملت الجريدة في لهفة الى حبيبها واعادت قراءته عليه ، فلم يتغير ولم يتبدل .. قال جامد الملامح :

— كلام جرائد .

— فلأحاول .. اتمانع ؟

— لا أمانع .. لكن لا تمني نفسك كثيرا .

ـ مجرد محاولة .. فلنذهب سويا .. لعلها تكون .

في السادسة من مساء ذلك اليوم كانت صالـــــة الشقة المذكورة العنوان تعج بالنساء ، سيدات وفتيات ، جميلات وفاتنات ، وكانت سلوى وخطيبها ضمن الجالسين .. كلهن ينتظرن في قلق مجيء أدوارهـــن في المقابلـــة .

ودلفت سلوى الى حجرة المقابلة عند مجيء دورها ، حيث الاضواء الباهرة والاثاث الفاخر والثريات المتدلية .. كل ذلك أضفى علـى نفسها شعورا بهيجا وأملا في حياة جديدة تنعم فيها بالهناءة والغبطة مع أمجـــد حبيبهـــا .

ـ مؤهلـــك ؟

ـ دبلـــوم تجـــارة .

ـ أتجيدين الالـــة الكاتبـــة ؟

ـ بالطبـــع .

ـ الديك المام باللغـــة الانجليزية ؟

ـ قليـــلا .

ـ الاخـــت متزوجـــة ؟

ـ لم أتـــزوج بعـــد .

ـ الديـــك استعداد تام للحياة خارج بلدك ؟

ـ نعـــم .

ـ لا بأس .. يمكنك الرجوع الينا غدا .. واعداد جواز سفرك ..
خرجت سلوى وقد اكتسى وجهها نسيجا غير نسيجه .. تطلـق بشرا وسرورا .. غمرتها الاحلام الوردية ، كانت عيناها تبرقان غبطة وسعادة، ونفسها تفيض رقة وجمالا .

غادرا المكان والابتسامة لا تني تترسل من محياها .. أفضت اليـه بما كان في اللقاء وما انتهت اليه .. دهشت سلوى اذ طالعت هذا الجمود من أمجد ، فقد لاذ بصمت ، وسار بجوارها شرودا يظلله الفكر وتحتويه الحيرة .. لا ندري !.. ربما لم يرتح لسفر حبيبته وحدها .. ربما حـار في اختيار الحياة بين براثن الفقر أو تلك البهجة التي لا يأمن عقباها عندما تسافر سلوى وحيدة ..

سار لا يلوي على شيء ، ولا ينبس ببنت شفة ، واستشعرت سلوى ذلك فسألته :

ـ أظنك غير مرتاح لسفري يا أمجد ؟

ـ لا انا مرتاح لسفرك .. ولا أنا راض عن فقرنا .

ـ فلندرس الامر بروية وتأن .

ـ كم عدد المسافـرات ؟

ـ قيل عشرة .. وقيل سبعة .

ـ ... ...

ـ أعتقد أننا سنكون في أمان طالما سنعمل في مكان واحد ونعيش مع بعضنا البعض .

ـ ... ...

ـ عموما أنت صاحب الرأي الاول والاخير .

ـ مخطئة فيما تقولين .

ـ مـــاذا تعنـــي ؟

ـ اباك صاحب الرأي الاول والاخير .

ـ لا .. اذا اقتنعت امي بشيء فلن يعترض أبي .. واذا اقتنعـت أنت وأنا فسوف لا تعترض امي .

* *

سارا في خطو وئيد وقد تأبط ذراعها .. سارت لا تكف عن الحديث

في أمر سفرها ، وسار ساهماً مشتت النفس موزع الخاطر .. مرتب خمسمائة جنيه شهريا !.. آه .. ستندحر الفاقة من حياتهما .. سيتقلبان في أعطاف النعيم والحياة الرغيدة .. سيعيش وسلوى حبيبته وابنة عمه الحياة التي حلما بها وتاقا اليها .. لكن أيترك سلوى ترتحل لتعيش هناك وحدها وهي زهرة يانعة تهفو اليها النفوس وتتطلع اليها العيون ؟... أيتركها نهبة للنظرات الجائعة والنفوس الظامئة ؟.. فمما لا ريب فيه أن ثقته بسلوى ثقة عمياء .. لكن هل تهدأ له نفس أو يرتاح له ضمير ؟

كان سفر سلوى هو موضوع مناقشة الاسرة في هذه الليلة ... أيدت الام رغبتها في السفر طالما ستعيش مع زميلاتها واترابها .. قالت انها فرصة العمر والفرصة لا تأتي مرتين .. لا تترددي يا سلوى .. دعها تعتمد على الله يا امجد .. ودندن الاب موافقا مؤيدا الام فيما تقول ، فهدأت نفس امجد نوعا .. لقد اتخذ هو الاخر قراره .. ستسافر سلوى .. ستسافر وهي خليقة بشخصيتها القوية أن تعيش في أي مكان ومع كل انسان .

* *

عرفت سلوى أمجد حبيبا وابن عما .. عرفت فيه الاخلاص والتضحية ... عرفت فيه معنى الحب ، فلقد أحبته حبا عنيفا ملك عليها قلبها وعقلها وحسها وحال بينها وبين نفسها .. كانت ترى فيه بهجة الحياة ونورها وشمسها وهواءها فلا استقامة للحياة بدون أمجد ، ولا معنى لحياة لا تكون شمسها ابتسامة أمجد .. أمجد ذلك الفتى الصبوح الوجه دائما ، الضحوك وضحكته بلسم حياتها ، البسام وابتسامته سلسبيل وجودها .

ستسافر سلوى وهي تعي جيدا كيف تصون حبه وتبقى على عهده .. ستسافر وستكون ما عاشت عند حسن ظنه وموضع ثقته .

ففي غضون أيام قلائل كانت ساعة الوداع ، وما أقسى البين على قلوب المحبين .. تعانقت سلوى والاهل ، وحال الحياء بينها وبين عناق أمجد .. وما العناق والكلام والانغام عندما تهمس القلوب في صمت !..

أما كفاهما عناق العيون الدافىء الذي أستشرى دفئه في المكان ، وحديث الوجوه الصامت الذي لن يدانيه حديث اللسان !

هذه هي المرة الاولى التي ستنأى فيها سلوى عن أمجد ، فلم تكـن تدرك البتة أن هذا الشعور سيعتريها عند الرحيل .. ما لها تمشي وتتراجع !.. لا ندري !.. هل شدت نياط قلبها بنياط قلبه فكلما نأت عنه التـوى عليها قلبها يعتصر من وجد وتحنان ؟ .. أم طار من صدرها ذلك القلـب الولهان فاحتضن قلبه واستدفأ المكان ؟.. اتبطىء هـي السير ريثما يعود مكانه كيفما كـان ؟

نأت سلوى رويدا .. رويدا .. وقد انحدرت على خدها دمعة رقراقة فأزالتها بمنديلها ، وهي لا تفتأ تتطلع خلفها وتلوح بيدها .

احتوتها الطائرة في جوفها .. يا للمقاعد الوثيرة !.. يا له من مناخ جديد لم تكتحل عين سلوى برؤيته من قبل !.. اقتعدت كرسيها وهـي تحيي زميلاتها بابتسامة تفيض رقة وعذوبة .

وأز أزيز الطائرة ، وما هي الا دقائق حتى كانت تعتلي بهن غوارب الجو في رعونة وطيش ، وهن داخلها ضاحكات باسمات متشوقات الـى مكان جديد وعمل جديد .

كان في استقبالهن صاحب الاعمال ومدير أعماله ، اصطحبهن فـي سيارة فارهة الى المقر المؤقت لاقامتهن ، وهناك أفضيا اليهن بكيفية الاقامة ونظام العمل ، وأبلغاهن أن الشركة دائما ستعمل على راحتهن وتوفير كل ما يلزمهن ، وهي لا تألو جهدا في توزيع عائد من الارباح عليهن وعلى جميع العاملين كلما جدوا وتفانوا في أعمالهم .

وفي نهاية الجلسة تم توزيعهن على فروع الشركة المختلفـة على أن تقيم كل مجموعة في مقر مأمون قريب من الفرع .

وتسلمت سلوى عملها الجديد في اليوم الثاني كسكرتيرة لاحد مديري الشركة في أحد فروعها ، وكانت سلوى ضمن ثلاثة عملن في مكان واحد ، وأقمن في ثكنة واحدة .

ومرت الايام يأخذ بعضها بأعناق بعض ، والحياة تسير وفق نهجها المرسوم ، فلا شيء يعكر صفاء سلوى ، ولا يكــــدر سعادتها مكدر ، فرأت السعادة بحرا زاخرا يغرق جسمها حتى منكبيها ، بل فضاء رحيبــا تتنفس ملء رئتيهـــــا .

وتكر الايام ، ويذيبها الشوق الى أمجد فتذوب شوقا ، ويضنيهـــــا الفراق فتلتاع ولها .. لقد أهاجها الوجد ، فاحتد شغفها واشتد كلفها ، فاكبت على رسائلها تبثها لاعج حبها ومترع غرامها ، وتمني نفسها وامجد حلو الاماني وعذب المرامي ، فتبتهج الدنيا في عيني أمجد ويرفرف طائــر الحب على مهجته ليل نهار ، فينتظر بصبر بالغ وشوق مذيب عودة سلوى .. آه .. متى تعودين سلوى ؟.. متى أشعر بالدفء في احضانك ، وارى كما رأيت الوسن المترسل من بين أجفانك .. آه محبوبتي .. متى اشتف أنفاسك .. وانهل من كأس غرامك ؟

نفسي الولهانة .. بل ذاتي الهيمانة تهتف في انتظارك .. محبوبتي.. متـــى تعوديـــن ؟

* *

من المحال دوام الحال ، فلا شيء أبدا يستتب على حال .. تغيرت الامور ، وانتقلت سلوى من عملها كسكرتيرة لاحد مديري فرع الشركة الى سكرتيرة لمدير عام فرع الشركة وابن صاحبها ، وطرأ ما لم يكن لسلوى علــى بـــال .

لاح لها في مجال افقها ذلك «المدير العام» وهو شاب لـــــم يتجاوز الثلاثين .. عنيد عربيد .. خلبه جمال سلوى .. طعنه في صدره ، فلـــم يصمد امام غضارة جمالها ونضارة شبابها واطرى ذلك الجمال على مـــرأى منها ، وبالغ في اطرائه ، وسلوى تصمت ولا تنظر ، تطرق ولا تنبس .

دهاها ذلك الامر الجديد .. ذلك المدير الشاب الذي لا يكف عن امتداح جمالها ، وابتسامته التي هي ابتسامة ثعلـب .. تغيرت سلوى وتبدلت لهذا العارض الذي امتلك عليها حواسها وكيانها وكل جارحة من جوارحها ، فعصفت بنفسها هذه العاصفة الجديدة .. انها لا تعرف سوى معنى واحد للحب ، فالحب في نظرها يكون أو لا يكون .. ان نظـرات ذلك الشاب تقول الكثير ، في ثناياها حبائل لاصطيادها ، في اعطافهـا الخديعة والغواية ، وهل هناك سواهما ؟.. لكن أيبتاع حبها لامجـد بكنوز الدنيا وجواهرها ؟

تالله .. انها الحيرة المضنية والعذاب المقيم ، لقـد تفرق شملها ، وتشتت خاطرها ، فامتنع عليها النوم طيلة أيامها ، وكفت عن رسائلهـا لحبيبها ، فلقد رات الا تصف له حالا غير حالها وحياة غير حياتها ، وهي التي تضن به على عوادي الزمان وايدي الحدثان ، أفي مقدورها اليوم ان تبثه لاعجا من لواعجها أو هما من همومها ؟.

❋ ❋

في منصرم يوم كعادتها وبعد أن خلت الشركة مـن العاملين بها ، تأخرت سلوى في عملها نظرا لتأخر «المدير العام» في مكتبه ، وبينما هـي جالسة رن جرس مكتبه فنهضت سلوى دالفة اليه ممتثلة أمامه وبين يديها بعض الاوراق ، فابتسم لها ابتسامة عريضة ذات مغزى ، وانشأ يطري محاسنها فقال : عينيك .. خديك وشفتيك .. واسترسل في كلماته اللاسعة الخادشة ، بينما أطرقت سلوى وقد اصطبغ أديم وجهها بصبغة حمراء ، فوضعت الاوراق على مكتبه ثم عادت على عقبيها خارجة .. فناداها أن تحضر له كشوف الميزانية ، ثم طفق يتحرك من مكتبه يجتاب حجرته .

عادت سلوى بالكشوف مهتاجة الاعصاب مرتاعة النفس ، فلم تكـد تضعها على مكتبه حتى دنا منها يداعب خدها ، ثم احتواها بعنف بيـن ذراعيه .. آنئذ تملصت سلوى .. عبثا تملصت ، وما لبثت أن استكانت فغابت عن وجودها ، ثم استفاقت مذعورة مشدوهة تحدق في المكـان حولها لا تدري ماذا حدث وكيف حدث .. لكنه حدث .

❋ ❋

أستحالت الدنيا أمام عينيها الى ليل حالك ، بل قبر موحش ... غشيتها الكآبة ، واطبقت على نفسها الحيرة .. شقيت مع نفسها ، وأيما شقاء .. لم تعد في نظر نفسها تلك اللؤلؤة المكنونة التي طالما هتف بها أمجد على مرأى ومسمع منها ، والتي طالما انتظر أن ينتزعها من بين صدفتيها ..لا لست لؤلؤة يا أمجد كما تقول .. أنا انسانة خائنة ..خنت حبك .. خنت صدقك .. لا أستحق كلمة «حبيبتي» التي طالما داعبتني بها ، وعبثت بها أناملك على خدي .. عاهدتني أبدا على الصدق ، وكنت معك دوما صدوقة أمينة .. آه .. لم أعد هذه الصدوقة الامينة .. فليهدم بيت حبي .

ويحا لك أيها الرعديد تمتص رحيقي ، وتريد أن تعبث بشرفي وتستلب جوهرة نفسي .. فوالله لاقطعن يدك اذا دنت مني ، ولاخرسن لسانك اذا تطاول علي .. اتريد أيها المأفون أن تبتاع عفافي بمالي ومركزك !.. اتريد أن تطعن حبي بعبثك ومجونك !.. لا .. لا ألف لعنة على مالك وعملك .. ألف ألف لعنة .

* *

أوين الى سلوى واشفقن عليها من وحشتها الطارئة عليها العاصفة بها ، فما عهدناها حزينة مكتئبة صامتة مذ رحلن الى ذلك المكان الجديد مثلما تحزن وتطرق في هذه الايام ، فأردن أن يغصن في أعماق سريرتها ، ويستكنهن ما تنطوي عليه جانحتيها ، فأفضت اليهن سلوى بما كان ذلك الذي لوعها واضناها واشقاها ، وانها تحب أمجد حبا عنيفا عفيفا لا يقبل مساومة ولا يعرف خيانة منذ التحم قلباهما في قلب واحد .. فضحكن زميلاتها المقيمات معها واردن أن يهون عليها أمرها ، فقالت احداهن : لا عليك يا سلوى .. أهذا هو الذي يحزنك وينال من نفسك كل هذا المنال؟. دعيه يعبث ويداعب طالما الامر لن يتخطى المداعبة والكلام ، فرمتها سلوى بنظرة نكراء حانقة واشاحت بوجهها عنها ، وأمسكت زميلتها الاخرى عن الكلام متأثرة ساهمة وهي تنعي وتلعن كل رجل يطلق لابنته حبل العنان

تسافر متى شاءت وكيف شاءت .. واستطردت وقد صعدت زفرة كادت تتقطع لها حيازيمها : مخطئون والله في سفرنا .. نحن شرقيون لنا عاداتنا وتقاليدنا ويجب الا يطغى علينا الغرب بعاداته وتقاليده .

وقمن والليل في مؤتنفه ، فأوين الى مضاجعهن ، وقامت سلوى لتحتضن السهد والارق ، فباتت ليلتها لم يغمض لها جفن أو يهدأ لها فكر .

ولم تمض الا أيام قلائل ، وتأخرت سلوى في عملها كسالف أيامها ، واستبطنت سلوى ما سيكون في ذلك اليوم لا سيما أنهما تأخرا حتى وقت اثار ريبتها وشكوكها ، فروعت وارتاعت وازداد وجيب قلبها .. فكانت كلما لاحت لها تلك الابتسامة الماكرة أدركت أن احبولة اصطيادها تدنو منها شيئا فشيئا .

في ذلك اليوم وبينما هي ماثلة أمامه انبرى من كرسيه بغتة وانقض عليها .. انقض عليها كذئب .. وقبل أن يحتويها بين ذراعيه اجفلت صارخة ثم هوت على وجهه بصفعة تطاير معها الشرر من عينيه ، فبادلها بمثلها على وجهها ، فهرعت لائذة بالباب تطلب الفرار وهي تذرف دموعها وتنشج نشيجا مرا .

وكان ذلك هو اخر عهدها بعملها في ذلك البلد .

* *

انتحلت من الاسباب والعلل لعودتها ما انتحلت وما تعللت به ، فاشاعت أن خلافا دب في الشركة بين اصحابها وأن هذا الخلاف أودى بها الى الانهيار والفشل ، فشق ذلك على الاسرة وفت في عضدها ، الا انها تحملت ذلك في صبر وايمان .

وكانت سلوى الامينة الصدوقة لا تعرف الا الحب الخالص من اية شائبة . والصدق النابت في جوهر نفسها النقية فاستطردت تقول وامجد ذاهل مشدوه مذهوبا بعقله ونفسيه :

هذه هي قصة سفري وقصة عودتي يا حبيبي كما حكيتها لـــك .. عدت لاحتفظ لك بجوهرتك مكنونة كما أردتها .. عدت لتبقى نفسي نقيـــة ما حييت .. صادقة ما عشت .. عدت لاني أحبك . وحبك من نفسي كـــل شيء .

وانهمرت الدموع من مآقيها فبللت خدها الجميل ، فألقت برأسها على صدره فاحتواها بين ذراعيه وامتزجت دموعهما وهي تتمتم :

سيرعانا الله .. وسيخلد حبنا .. وسيموت الفقر يوما يا حبيبي .



لطفي محمد عبد الرحيم

قصة بلا عنوان

غرباء في الفراش

مجازفة... ولكن...

قصة بلا عنوان

الحجرة التي تضمني نظيفة .. هادئة .. تتطاير في أرجائها نسمة طرية .. تحمل في طياتها شذى ورود .. وضعتها ليلى بالامس .. ورغم ذلك .. أشعر بقلق مضجر .. ووحدة موحشة .. اتلفت حولي لارى ما ينقصني .. أو ما تبدل عن كل يوم .. فلا يتبادر الى مخيلتي الا صورتها .. ليلى .. التي تغيبت اليوم عن المستشفى .. ويزداد قلقي .. صرت اخشى الحب .. وانا الذي لا غنى لي عنه .. صرت اخافه .. وانا الذي اتمناه وارجوه .. كنت مخطئا ..يوم كفرت بالحب ولعنته .. وكنت مسيئا .. يوم نهرت حواء وسخطت عليها .. ونال ليلى ما نالها مني .. ورغم ذلك .. ظلت تأتيني بالورود والازاهير .. يا لها من انسانة طيبة.. كبيرة القلب .. يحق لها أن تكون ملاكا .. من ملائكة الرحمة .

« اعود بذاكرتي الى الوراء .. فأرى نفسي وقد خدعت .. وفقدت الحب .. الذي كان الزاد لقلبي .. والهواء لرئتي .. وأسير هائما .. على غير هدى .. وقد تركت قدمي تدبان .. وتقوداني الى حيث لا أعي .. وفجأة احسست بشيء رهيب .. ثقيل .. يصطدم بي ؟.. يسقط علي ؟.. يقذفني ؟.. لا أدري .. رأيت بيوتا تتراقص . وعربات تطير في السماء .. واشباحا تحيط بي .. وكانت .. سيارة مغبونة ».

في المستشفى .. افقت على المنظر المريع .. البشع .. الذي افقدني صوابي .. واي صواب في ذلك الوقت ؟!.. رايت جسمي وقد تضاءل .. حاولت أن ابحث عن ساقي .. فاحسست بنيران تأكل فخذي .. ووعيت الحدث الاليم .. فاهتاجت نفسي .. ورحت أصدر صرخات ملتاعة يائسة .. فكانت ليلى .. التي دخلت علي .. وحاولت أن تهدىء من نفسي .. ولكنها تراءت لي .. حواء الغادرة .. التي لا وفاء عندها .. والتي لم

تزغ العهد .. فرحت أصب عليها وابلاً من الشتائم .. وأرميها بسيل من الفاظ الغدر .. والاثم .. والخيانة .. ولم أدر بنفسي يومها .

وتمر الايام .. فيسكن الطين الى القاع .. وتصفو نفسي وتهدأ .. وبدأت أتقبل القضاء .. وأرضى بقدري .. وأقتنع بما أنه فيه .. فشرعت أعد نفسي لصفحة جديدة في حياتي .. وطيلة هذه الفترة .. كانت ليلى تواظب على جلب الورود والازاهير .. كلما ذبلت أتت بغيرها .. ولشد ما كان يحيرني أمرها .. تصبحني بابتسامتها الحلوة .. رغم جمود وجهي .. وتحرص على أن تحدثني .. رغم عبوس كلماتي .. ولكنها .. كانت تثابر .

وعندما كنت الوذ بالعقل .. كنت اقر .. بأن الله خلق الخير والشر .. وخلق الصالح والطالح .. فان كانت انسانة .. استطاعت أن تطعنني وتدميني .. فهناك من تستطيع أن تبرئني وتشفيني .. طلبت من ليلى في يوم من الايام .. أن تشتري لي كتبا سميتها لها .. فبادرت تشتريها .. كما لو كانت سوارا .. ستتزين به .. وأتت والفرحة في وجهها .. كتلميذة فازت بالنجاح .. وانكببت على القراءة .. والتفكير .. والتأمل .. وكثيرا ما كانت ليلى تدخل علي . وأنا مستغرق في التأمل .. فلا أشعر بها .. وهنا .. أرى في وجهها امارات الشفقة .. وتحاول بحديثها الرقيق .. وابتسامتها الحلوة .. أن تخرجني مما أنا فيه .. ظنا منها انني ركنت الى اليأس .. والانطواء .. والاكتئاب .. بعد أن فقدت ساقي .. وصرت أكتسع الساقين .

كان هذا ما وعته ذاكرتي .. حتى هذا اليوم .. الذي شعرت فيه بالقلق .. فبدأ قلقي يتبدد .. وأحسست بافتقادي لليلى .. وانتابتني رغبة قوية لرؤيتها .

في تلك الاثناء .. دخل الدكتور عزت لرؤيتي .. شاب طيب مهذب .. فبادرته سائلا :

ستغيب ليلى طويلا ؟

فابتسم الشاب .. ابتسامة لها دلالتها .. لم تدم طويلاً .. فسرعان ما اختفت ليقول :

ــ ادع معي ان يكون السبب في غيابها خيرا .. انها لا تتغيب أبداً الا لعذر قاهر .. فالمستشفى هنا بيتها.. تشعر بالامن طالما هي فيه .. وتحس الغربة كلما ابتعدت عنه .. والمرضى افراد من أسرتها .. تسعد لراحتهم .. وتشتري لهم الورود والازاهير من مالها الخاص .

ــ انها طيبة .. تنثر الحب على الجميع .. رغم ما تقاسيه في هذه الحياة .. وما يثقل كاهلها .

ــ وماذا في حياتها يا دكتور ؟.. الذي يراها .. ويلمس عطاءها .. لا يظن أن في حياتها ما يكدر .. انها نبع سعادة .

ــ يكفي ان تعلم .. انها تعول اخوة صغار .. بعد موت أبيهما وامها .. وان الكثيرين يتقدمون لخطبتها .. فترفض حتى تستطيع أن تقوم على تربيتهم .

امضى الدكتور عزت .. بهذه المعلومات .. ثم خرج .. وانفردت أنا بنفسي .. الومها واوبخها .. لقد فعلت ليلى من اجلي الكثير .. الا يجدر بي .. أن اكافئها على صنائعها .. ولن يكلفني ذلك كثيراً .. فهي الابتسامة .. الابتسامة مني .. ستسعدها .. ان اشعرها بأنني راض بما قسمه الله لي .. سيريحها ذلك .. أن اجعلها تحس بأنه كان لها فضل كبير .. في نثر بذور الامل في نفسي .. وانطلاق روحي في اشراقة .. تلبي نداء الحياة .. كل ذلك سيكون أعظم مكافاة .. لصاحبة القلب الكبير .. ليت غدا يأتي كلمح البصر .. حتى تأتي ليلى .

يا للعجب !.. لم اكد افرغ من امنيتي .. حتى رأيت ليلى تدخل علي .. على غير توقع .. وفي حركة تلقائية وجدتني انتفض .. واتهلل .. واقبلت حتى وقفت على سريري .. وكانت تضم على صدرها مجموعة

من الكتب .. لم تنبس بكلمة .. بل وقفت مبتسمة تطيل النظر الي .. بادرتها سائلا في لهفة :

ــ لماذا تغيبت اليوم ؟.. لعله يكون خيرا .

قالت في صوت يحمل نبرات العتاب :

ــ لن أجيبك حتى اعرف السبب في اخفائك حقيقة شخصيتك .. لقد جاوزت الشهر هنا في المستشفى .. وعلمت اليوم فقط .. انك الاستاذ محمود سالم .. الاديب المشهور .. قرات لك كثيرا .. وكنت أتمنى أن ألقاك في يوم من الايام .. ويجيء اليوم.. لالتقي بك أكثر من ثلاثين يوما دون أن أعرفك .

ــ اولا انا لم اتعمد ذلك .. فقد دخلت المستشفى بالاسم الذي تحمله هويتي.. وهو «أحمد محمود رضوان سالم» .. اما الجميع فيعرفونني بمحمود سالم .. بعد ذلك .. آثرت أن أتخلص من قيد الشهرة .. وأن أتذوق طعم المعاملة العادية .. ولكن لم أفلح ولم يدم ذلك .. أخبريني الان .. ما سبب غيابك ؟

وحاولت ليلى أن تهرب من هذا السؤال .. ليس لشيء الا لانها تريد أن تثير في نفسي آلاما أو أحزانا .. فقد فرحت .. عندما أحست بهذا التغير الذي طرأ علي .. ولكنني أخذت الح .. وأحاصرها حتى بدأت تقـــول :

ــ لي اخت بالصف الخامس الابتدائي .. دخلت عليها عصر الامس .. حتى اطمئن على أنها تؤدي واجباتها .. فوجدتها منفطرة في بكـــاء أزعجني .. سألتها عن السبب .. فأخبرتني ان المدرسة ستحتفل اليوم بعيد الأم .. وأخرجت لي من حقيبتها ورقة .. كانت بطاقة دعوة موجهـــة الى امي لحضور الحفل .. وأمي ماتت منذ عامين تقريبا .. قدرت مشاعر أختي .. وكان لابد أن اذهب معها اليوم الى المدرسة .. وعندما انتهـــى

الحفل .. عدت الى المستشفى .

تاثرت بذلك .. وبدات دموع تترقرق في عيني .. لاحظت ليلى ذلك.. فقالت وقد حاولت افتعال المرح :

ــ انسيتني .. اتيت لك بثلاثة كتب قيمة .. والان وبعد أن عرفت إنك الاستاذ محمود سالم .. فاغلب ظني انك قرات هذه الكتب .. فأنتم معشر الادباء .. تقرأون كثيرا .. كثيرا .. لتكتبوا لنا قليلا .. قليلا .

وتناولت الكتب من ليلى .. فاذا كتاب يتحدث عن الدكتور طـــه حسين .. واخر عن هيلين كيلير .. والثالث يحكي عن ايسوب ــ حكيم اليونان ــ وعلمت الان ما يدور في ذهن ليلى من ناحيتي .. فقد اختارت هذه الكتب بالذات .. لهدف تستهدفه .. فنظرت اليها مبتسما وقلت :

ــ أشكرك على هذه الكتب .. لقد قراتها من قبل .. ولكنني فيحاجة لقراءتها مرة ثانية .. والان وقد قدمت لي كثيرا .. أود أن أقدم لك شيئا .. ليتك تطلبين مني شيئا .

ــ وستلبي طلبـــي ؟

ــ سأكون سعيدا لذلـــك .

ــ اذن لي طلب .. بل أمنية .. ليتك تحققها لي .

ــ قولـــي .. اطلبـــي .

واتجهت ليلى ناحية شرفة الحجرة .. ونظرت الى الشارع .. ثم اتت الى المقعد المتحرك ..ودفعته حتى اتت به الى جوار سريري .. ونادت أحد العاملين .. الذي ساعدني في الانتقال الى المقعد .. وشرعت تدفع المقعد ناحية الشرفة .. حتى التصق بسور الشرفة الحديدي ... واشارت الى ناحية معينة في الشارع .. طالبة مني ان انظر .. ولشد ما كانت دهشتي .. وانبهاري .. يا لقدرة الانسان .. عندما يريد ويعزم .. يا لحلاوة الانتصار على الحياة .. شاب بترت ساعداه .. حتـــى

المرفقين .. وراح يرسم لوحة لطفلة صغيرة .. عيناها تشعان أملاً .. وجهها نضير .. تقاطيعه تدعو لحب الحياة .. ورحت اغيب مع الصورة.. أتأملها تارة .. ثم مع مرفقي الشاب تلتقطان الاقلام والادوات ..وتتحركان على اللوحة في حساسية عجيبة تارة أخرى .. ولم أفق الا على صوت ليلى :

ــ ما رايك يا استاذ محمود .

ــ انه اعجاز .

ــ هل أنت اقل من هذا الانسان ؟

ــ انني لا املك ازاء ما ارى الا ان أخجل من نفسي .

ــ اذن فلأطلب طلبي منك .

ــ اطلبي يا ليلى .

ــ ان تبدأ في الكتابة .. اريد ان اقرأ لك شيئا جديدا .

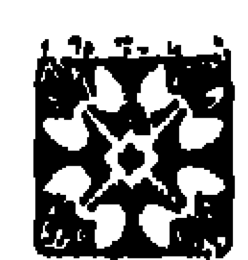
ونظرت الى ليلى .. واحسست احساسا غريبا .. يتملكني .. روحانية تسري في جسدي .. جسدي المادي يتخفف من اثقاله .. وكأنه صار جسدا اثيريا .. أتوجه بالشكر الى الله .. لا يكفي ذلك .. لابد من ركعتين شكرا لله .. ان وقف لي هذه الانسانة .. فلولاها .. ما كنت ادري مصير حالي .

ــ لك ما طلبت يا ليلى .. سوف أبدأ حالا .. انني اشتقت الى الكتابة .. ونفسي وروحي تموجان بأحاسيس ومشاعر .. تستأهلان مدادا من الدم الذي يجري في عروقي .. وعدت الى مكاني .. وزودتني ليلى بورق وقلم .. وتركتني والفرحة تملأ عينيها .

أما أنا .. فكان معهودا في البطء في الكتابة .. وعلى غير تلك العادة .. وجدت البداية لا تحيرني .. ووجدت الفكر تتوارد غزيرة في ذهني ..

والقلم يجري سلساً .. لا تستعصي عليه لفظة .. أو تراوغه فكرة ...
وكل ما كان يشغل بالي .. هو أن أخرج بقصة .. تلقى استحسان ليلى
.. وتحوذ اعجابها .. وكلما تذكرت أنها ستكون أول من يقرأ هذه القصة
.. دبت في نفسي حمية .. ورحت اسكب على الورق أقصى ما تجود به
قريحتـــــــي .

وكان أن أنهيت القصة .. وكانت هذه هي قصتي التي سطرتها ..
في السرير .. في الحجرة رقم ١٠٤ بالمستشفى .. ورحت اعيد القــراءة
لمرات عديدة .. وازيد وانقح .. واكتبها بخط جيد .. وبت مسهدا قلقا
أنتظر اليوم التالي .. كتلميذ مؤرق في ليلة امتحان .. يدخله لاول مرة في
حياته .. أما عنوان القصة فقد تركته لليلى تشاركني وضعه .. فكانـــــت
القصة بلا عنوان .



غرباء في الفراش

« الاتوبيس» .. وساعة من الليل .. بدأت تخف فيها حدة الزحام.. وربقة الحركة .. وأخذ ينساب في سرعة مريحة .. ونسمة الليل .. تتخلل منافذه فتداعب الوجوه .. وتتعانق في ساحة العربة .. التي بدت خالية من الوقوف الا من ثلاثة أو أربعة .. جلست عنايات بجانب نافذة .. وجاورها حامد زوجها .. تتوسطهما ابنتهما صفاء التي تبلغ الخامسة .. وابنهما عمر الذي يبلغ الثالثة .. وقد وقفا يعبثان تارة .. ويحادثان الأم تارة أخرى .. أما الزوج .. فقد اقترض صحيفة مسائية من أحد الواقفين وراح يدس وجهه فيها .. أمامهما رجل وزوجته .. انسجما في حديث متدفق .. لا ينقطع الا ويوصلانه في سرعة ولباقة .. تتخلله من حين لاخر ضحكاتهما التي كانت تتردد في أرجاء العربة .. أخذت عناياتترقبهما باهتمام .. وكأنها تتوق الى مثل ذلك الحديث .. ولفت نظرها أحد الواقفين .. كان يوجه اليها نظرة متفحصة .. فقد كانت تتمتع بجمال هادىء رصين .. بشرة بيضاء .. لا تعكر صفوها اللطخات الملونة ... وشعر فاحم تهدل في عفوية دون تكلف .. وعين اختلط فيها صفاء النهار بسحر الليل .. وراحت تهرب من هذه النظرات .. وجهت الى زوجها كلمات .. فأجابها بكلمات مقتضبة .. دون أن يرفع عينيه من الصحيفة .. وحاولت أن تمط الحديث فلم تفلح .. وأخيرا .. أسندت رأسها على زجاج النافذة .. وراحت تستقبل في سلبية دون عناء .. العبارات التي كانت تتقاذفها الالسنة .. «ماذا تريد ؟.. القانون ٨٣ أتي لك بكيلو لحمة زيادة في الشهر » .. «زوج بنتي سافر الى السعودية .. أشرت عليه أن يشتري في أرض البركة .. بدلا من المقدم في الجيزة » .. « لن ينصلح حال الفريق القومي الا اذا كان هناك فريق قومي قائم بذاته .. نتعهده بالرعاية والاعداد من الصغر » .. كانت كل هذه الاحاديث تتناهى الى سمع عنايات

ولكن كان يشغلها أمر هذين الزوجين .. كانت ترقب همسهما .. حركاتهما. نظراتهما .. هيء لها انهما خطيبان .. ما لازالا في طور الحب الجارف .. ولكن طفلتهما التي تقرب ابنها في العمر .. نادتهما . «بابا ثم ماما» .. انهما زوجان .. ولكن الله رضي عنهما .. فاظلهما بنعمة السعادة ... هكذا بدأ تفكير عنايات .. ثم راحت تغوص في الاعماق .. « يا لحظي التعس .. كم أتمنى أن يحادثني حامد وأحادثه مثلهما .. أشعر أحيانا كثيرة انني وحيدة رغم صحبته .. لا أطمع في أن يحدثني حديث الحب .. فليتجاوب معي في أي حديث .. اي حديث حتى لو كان تافها .. أشعر برغبة قوية في أن اقول للناس هذا زوجي .. وأنا زوجته .. نعيش معا في سعادة .. يحبني حبا فياضا .. يحرص على أن تظل عيوننا تتناجى.. آه .. أين تلك الايام البواكر لحبنا ؟.. عندما كنت اسير بجانبه .. أو نجلس معا فلا ينقطع لنا حديث .. كان هو الذي يحاول .. ويلملم اطراف الحديث .. وينسجها كلمات تتراقص في رشاقة على شفتيه .. أما الان.. فانا التى احاول .. فيرد علي بأقل الكلمات . .حتى دون أن ينظر الى .. وكانه مل الحديث معي .. أو كره النظر الي .. » .

ونظرت عنايات الى حامد .. فوجدته ما زال مكبا على قراءة الصحيفة واخذت تنظر في دقة تمحيص الى كل جزء من رأسه ووجهه .. وكانها لم تره جيدا من قبل .. ثم تنهدت تنهيدة .. نفثت معها ما يعتمل داخلها من لهيب .. لعلها تفرج عن نفسها .. ثم أسندت رأسها الى النافذة مرة اخرى .. مستسلمة لقدرها المحتوم .

طوى حامد الصحيفة .. واعادها لصاحبها .. ثم عقد ذراعيه على صدره .. واخذ يرقب هذين الاثنين بعد أن لفتا نظره .. بحديثهما الثرثار وضحكهما المتهرج .. الذي لفت انظار الجميع .. وقال في نفسه : «أيكون هذا زوجها !.. ان معهما طفلة تقارب الرابعة من عمرها .. الم يمل ؟.. الم يفرغ بعد من مرحلة الحب الاولى ؟ .. يفرغ .. وهل الحب يفرغ ؟.. فكيف حينئذ تحتمل الحياة ؟ انها تكون رتيبة .. مملة .. سخيفة .. لابد للحب أن يتواجد .. ولكن كيف ؟ وبأي صورة ؟.. هل يأخذ شكلا اخر ..؟

المشاركة .. المسؤولية .. البيت .. الابناء .. كل هذه كانت نتائج للحب الاصل .. ثم انها قد تستمر روافدا من روافد الحب الاصل .. ولكن .. هل كان هذا يكفي لاشباع هذا الحب ؟.. هل أنا وعنايات نسعد سعادة هذين الزوجين ؟ بالطبع لا .. حقيقة تربط بيننا عشرة طيبة .. تخلو مما يكدر الصفو .. ولكنها عادية .. متكررة .. لا جديد فيها .. وهذا يوم مثلا .. خرجنا فيه للنزهة .. قضينا وقتا ممتعا في السينما .. ولكنه لا يختلف كثيرا عن وقت نقضيه أمام الشاشة الصغيرة .. أيكون هذا راجعا الى انماط الشخصيات .. ولكنني ما كنت هكذا عندما عرفت عنايات .. وفي أيام خطبتنا وزواجنا الاولى .. أكان يجثم عليا صمت مطبق هكذا ؟. مستحيل .. أذكر كيف كنت أبذل الجهد لاعثر على الكلام .. حتى لا يفرغ بيننا .. وكنت أحس بسعادة حقيقية ينطق بها وجهها .. أما الان فهذا الصمت سخيف .. سخيف .. ربما يكون ذلك لاحساس خفي بالامتلاك.. أو لان العلاقة بين الزوجين تصبح عادية .. لا تدفع الى بذل الجهد في الكلام .. ولكنني اذكر الان مقالا لعالم نفس جليل .. ذكر فيه أن الحديث بين الزوجين .. يؤدي الى التوحد الذهني والفكري .. ويخلق المودة .. التي تضفي عليهما جوا من السعادة .. لماذا لا أجاهد نفسي وأجرب ؟ أن أتحدث مع عنايات زوجتي في أي شيء .. وما المانع ان نتحدث في الحب ؟.. قد يبدو أننا كبرنا على ذلك .. ولكنه الخطأ الكبير الذي نقع فيه .. فاننا في حاجة ماسة الى حديث الحب .. فلأحدثها عن ذكرياتنا الاولى ... عن .... » .

وأخذ حامد يتذكر كيف عرف عنايات .. وكيف فاتحها بحبه لها .. وتلك الايام التي حفلت بمغامرات الحب معها .. مما اثار في نفسه البهجة .. وزاد من انفعاله .. حتى نظرت اليه عنايات في تلك اللحظة .. فوجدته يبتسم ابتسامة عريضة ..وهو لا يشعر بوجودها بجانبه .. ونظرت الى حيث كان ينظر .. فاذا فتاة وقفت خلف السائق .. وقد أسندت ظهرها الى ذلك الحاجز .. الذي يفصل بين مقعده وبقية العربة .. وهنا ثارت عنايات في كتمان .. وكادت الدماء تنفجر من وجهها .. االى هذا الحد بلغ استهزائه بها .. وعدم مراعاته لمشاعرها ؟ االى هذه الدرجة انحدرت

أخلاقه ؟ وكادت تفلت الدموع من عينيها .. لولا أن لكزته قائلة :

ــ المحطة .. المحطة يا أستاذ .

ونظر اليها حامد .. مستغربا لهجتها .. وطريقتها .. ولكنه حمل عمر .. استعدادا للنزول .. وقد عقد النية على أن ينفذ ما انتوى عليه .

في البيت .. تناول الجميع طعام العشاء . .ثم انفلتت صفاء واخوها عمر الى حجرتهما .. وجلس حامد أمام التليفزيون .. في حين كانت عنايات في المطبخ .. وبعد قليل من الوقت أتت تحمل كوبين من الشاي .. وهمت بالجلوس .. فوقف حامد .. وأغلق التليفزيون .. وقال :

ــ هيا بنا الى الشرفة .

ــ والمسرحية ؟!

ــ انها مسرحية سخيفة .. هيا بنا .

وتعجبت عنايات لهذا المطلب .. وصمتت قليلا .. ثم وضعت الشاي واتجهت الى حجرة صفاء وعمر .. واطلت عليهما .. ثم اغلقت الباب وقفلت عائدة .. وحملت الشاي واتجهت الى الشرفة .. فقد رات في ذلك فرصة .. كي تنفث بعضا مما تحتبسه داخلها .. حتى صارت وكأنها مرجل اشتد الضغط داخله .

في الشرفة جلس الاثنان .. في ذلك الجو الحالم الجميل .. تطوف بهما انفعالات مؤرقة .. وكأنها سحابة سوداء .. تطوف سماء الربيع الصافي .

ــ ماذا بك ؟ أراك اليوم على غير عادتك .

ــ كيف ؟

ــ احس انك حزينة .. غاضبة .

ــ كل ذلك في صدري .. أكتمه .. ولا أعرف ماذا تفعل اي انسانة.

لو كانت في مكاني .. ورأت ما كان .

ــ ومـــاذا كـــان ؟

ــ ألا تعرف ما كان ؟. الم تحس بما اقترفت هذه الليلة في حـــق زوجتـــك ؟

ــ مـــاذا ؟ تكلمـــي .

ــ لمن كنت تبتسم في الاتوبيس ؟.. لمن ؟.. ابتسامة عريضة .. وعيناك تكادا تأكلان منها .. لفتاة مراهقة !.. كل ذلك وأنا جالسة بجوارك حتى كدت تنسى المحطة .. لولا أن نبهتك !

وهنا ضحك حامد ضحكة صادقة .. فيها رنين عجيب .. وكأنهـا تخرج من أعماق أحشائه .. واحس طعما لذيذا لغيرة الزوجة .. ثـم امسك بأذنها يداعبها قائلا :

ــ سامحك الله يا زوجتي العزيزة .. لو علمت ما كنت أفكر فيـه ساعتها .. لعاتبت نفسك .

ــ وفيمـا كنـت تفكر ؟

ــ عادت بي ذاكرتي الى أيام حبنا الاولى .. تذكرت واقعة أثارت في نفسي بهجة وانشراحا .. واحسست بحنين عجيب .. ووجدتني أبتسم رغما عني دون أن أعي في اي جهة كنت انظر .

وانتظرت عنايات في اهتمام بالغ .. ولسان حالها يحسه علـى أن يقص .. ويروي ما كان .

ــ عندما كنت أجاوركم في السكنى .. وانا ما زلت طالبا .. رأيتك في يوم .. في محل للبقالة .. ووجدتني دون حاجة لي أندفع الى المحل.. وأصافحك وأسالك عن حاجتك .. كنت تشترين بيضا .. سألت البقال.. فأعطاني قرطاسا به البيض .. ووقفت انت في ارتباك واضطراب شديدين

تنظرين الي .. ثم الى البقال .. وكدت تنطقين بشيء .. لولا ان مددت يدي اليك بالقرطاس .

ونظر حامد اليها فوجد الابتسامة الصادقة .. تشمل كيانها كله .. ثم انفجرت في ضحكة عالية انشرح لها صدره .

— كنت جريئا يومها يـا حامد .

— هل تذكرين ذلـك ؟

— وهل ينسى الانسان أحلى ما في حياته من ذكريات ؟.. أتذكر أنت يوم ان كنت اقف في الشرفة .. وسألتني عن مداد تملأ منه قلمك ؟

— نعم اذكره جيدا .. نزلت في الحال .. وصعدت اليكم .. ورغم الرجفة التي كانت تتملكني .. الا أن شيئا كان يدفعني اليكم دفعا ..

— يومها تحدثت عنك أختي الكبرى كثيرا .. وكنت في غاية الفـرح والسرور .. كانت اول مرة تدخل فيها بيتنا .

— كان غراما طاهرا .. يرعاه أدب جم .. وتدفع اليه ثقةتستشعرها القلوب .. وتحسها الارواح .

وظل حامد وعنايات على هذا الحال .. بين اقبال وادبار في سني حبهما الماضية .. يتبادلان الذكريات سجالا .. ذكرى تجـر ذكرى .. وموقف يجر موقف .. وضحكات تشق ستار الليل .. فتعلن عن عاشقين. تذاكرا أيام حبهما .. وفي حضرة الحنين الدافق بالحب .. نسيا نفسيهما.. وما كان يعتمل داخلهما .. وهكذا .. ظلا يرشفان من كأس الحب .. حتى بلغا الثمالة .. فقالت عنايات وعيناها تؤكدان صدق ما تقول :

— كـم أحبـك يـا حامد .

— نعم .. ماذا قلت ؟.. أعيديها .

— أقول أحبك .. وسوف أظل أحبك بكل كياني .. ما بقيت أنفاسي تتردد في صدري .

ـــ آه .. كم هو جميل وقع هذه الكلمة .. عندما تخرج من القلب.. لقد اشتقت لمذاقهـــا .

ـــ حقيقة يا حامد .. لاول مرة منذ زمن بعيد .. تجعلني أحس بطعم الحب .. لقد ظننت أننا تجاوزناه بأعمارنا .

ـــ لا يا عنايات .. الحب ليس حكرا على أعمار دون غيرهـــا .. ولكنه جهلنا بطبيعة الحب .. انه كائن يحتاج الى الزاد من وقت لاخر.. شأنه شأن أي كائن حي .

ـــ ليت هذه الليلة تطـــول .

ـــ سوف أجعل لياليك كلها حبا .. لقد عرفت الطريق ... ولن أضله أبـــــدا .

ـــ حامد .. انني أشعر أنني أعرفك هذه الليلة لاول مرة .. أحس أننا كنا غرباء عن بعض .. وتعارفنا فقط هذه الليلة .

ـــ معك حق يـــا عنايات .. نفس الاحساس أحسه هذه الليلة .. كنا غرباء فعلا .. غرباء نعيش في فراش واحد .. وكم من غرباء مثلمـــا كنا .. يعيشون في فراش واحد ؟.

ونظر حامد في ساعته .. فوجدها قد جاوزت الثانية .. فأخذ بيـــد عنايات .. وسارا يترنحان .. يعتمد كلاهما على الاخر .. وكأنهما لـــم يفيقا بعد من خدر أصابهما .. ودلفا الى الداخل .. وعيونهما تنطق بشوق متأجج .. وحب فياض .. تفصح عنه ضربـــــات القلوب .. ونهجـــات الصـــدور .

مجازفة ... ولكن ...

الساعة الثانية والنصف بعد الظهر .. محطة الاتوبيس .. وقد ازدحمت بالمنتظرين .. الجميع مترقب .. متطلع .. الاعناق تشرئب .. كل عنق تريد أن تعلو فوق الاخرى . العيون مفتوحة تكاد تقفز من محاجرها .. أو تخترق الحواجز .. لترى أرقام «الاتوبيسات» .. الجو حار .. العرق يتصبب ويسيل على الوجوه .. والاعناق .. والصدور .. علامات الضيق تصدر على كل لون .. وكل شكل .. وجوه مقطبة .. حركات لا ارادية .. زفرات حارقة .. بين الجميع سيدة شابة .. نضرة ممتلئة قليلا .. تكشف عن زراعين بضتين .. وساقين متناسقتين .. ناصعتين .. تملأ المكان حركة غير طبيعية .. تبدو قلقة .. تدب في كل مكان .. فتهتز لدبيبها أرداف حبيسة .. ويعلو صدرها وينخفض .. متارجحا في حرية .. العيون تحاصرها .. تكاد تنهش لحمها .. والاعناق تتلوى وراءها جيئة وذهابا في المكان .. تحاول ايقاف «تاكسي» فلا تفلح .. وتحاول .. وتحاول .. وتبوء محاولاتها بالفشل .

سيارات كثيرة تمر أمامها خاوية .. بعض السائقين يفوتون دون أي اعتبار .. البعض يقف ثم يعتذر لان طريقها ليس طريقه .. تزداد حركتها عصبية .. وتلعن وتسب .. يبدو أنها في مأزق .. فجأة انبسطت أساريرها وبرقت عيناها .. نظرت الى سيارة خاصة قادمة .. وانفرجت شفتاها عن ابتسامة عريضة .. فجاة .. توقفت السيارة أمامها .. وفتح لها الباب .. لقد نجحت خطتها .. فلتتجرأ .. ولتكمل الخطة .. رمت بنفسها داخل السيارة .. وانطلقت السيارة .

نظر المنتظرون الى بعضهم .. وانطلقت الالسنة .. والخيالات ..

والامنيات .. (أعوذ بالله .. كانت حركتها تدل عليها .. ترى أيـــن سيقضيان بقية اليوم .. يا لحظه .. سوف يستمتع بذلك الجسم البض .. لو كنت أملك سيارة) .

ـ الى أين تريدين الذهاب ؟

ـ الى أي مكان تريده .. أليس لديك مكان ؟

وانحرف صاحب السيارة الى جانب الطريق .. توقف .. أخذ يفكر قليـــلا ..

ـ فيمـــا تفكـــر ؟

ـ ابحث في ذهني عن مكان آمن .

ـ لدي انا المكان .. انطلق بنا الى قصر العيني .

ـ لمـــاذا ؟

ـ لي صديقة تعمل هناك .. لها «شقة» مجهزة .. سوف نأخـــذ المفتاح ونذهب الى شقتها .

ـ لكـــن ...

ـ لا تخشى شيئا .. هي ليست متزوجة .. اعتدت أن أستعـــير المفتاح منها .. أمتزوج انت ؟

ـ نعـــم .

ـ جميلـــة ؟

ـ ليست أجمل منـــك .

وانطلقت السيارة الى قصر العيني .. كم الطريق طويلا .. وهذا الزحام .. زحام .. زحام .. في كل مكان ليتني استطيع أن أمرق بين هذه السيارات المكدسة .. حتى نصل مبكرين ، ولكـــن .. كيف انقاد بهـــذه السهولة ..؟ لقد اسلمت نفسي لهذه السيدة .. وغيرت طريقي .. وكأنني منوم .. فقد تكون هناك خدعة .. أو كمين .. أوفضيحة تنتظرنـــي ..

ليكن .. ليكن ما يكون .. فان الفوز بهذا الجسم الرائع يعدل كل شيء فلتأخذ ما تريد مني .. فلتأخذ كل ما معي من مال ان هي أرادت .. فقط أنعم بطراوة ذلك الجسم .. الذي يبدو ناصعا في زيها الاسود .

ترى ماذا يدور بذهن ذلك الرجل .. ان صمته ينطق بما يدور في رأسه لابد أنه يتعجل للفراش الذي يضمه وجسدي .. جسدي الجميل الذي يبهر الجميع .. ان نظراته تكاد تثقب صدري .. وهو يعلو وينخفض .. وتكاد تأكل من ساقي .. القلقتين .. انه متزوج .. يا لغباء الرجال .. ما تعن لهم فرصة لخيانة زوجاتهم الا وينتهزونها .

أمام قصر العيني .. توقفت السيارة .. نزلت السيدة في سرعة .. واندفعت داخل المبنى .. تشيعها كلمات الرجل المتوسلة .. المرتعشة « بسرعة .. لا تتأخري » .

وانتظر الرجل .. وانتظر .. أخيرا جاءته سيدة .. يبدو عليها أنها تعمل بالمستشفى .. ورمت له بورقة في سيارته .. ثم انصرفت مسرعة .

« سيدي .. معذرة .. لقد لجأت الى هذه الحيلة حتى الحق بأمي .. وأكون بجانبها ... انها سوف تجري عملية جراحية خطيرة .. عد الى صوابك .. وارجع الى زوجتك .. فقد تكون في انتظارك .. وربما لم تتناول طعام الغذاء بعد .. » .

عبد النبي السيد كراوية

ليلة شيطانية

حب في الزمن البخيل

ليلة شيطانية

ظل...طول يومه يتجول في شوارع القاهرة بلا هدف ، وكانت رياح ديسمبر .. تذر أوراق الاشجار الذابلة في طريق المقطم أمامه وكأنها أيامه الضائعة .. التي ذبلت بعدما جف فيها رحيق الشباب .

خيل اليه أن هناك عدة وجوه يعرف أصحابها فابتسم لهم .. فرد أحدهم التحية في حرارة .. وكأنه يعرفه حق المعرفة .. وأعطاه ظرف به جنيها ونصف .. ليوصلها كأمانة لصاحب مقهى التوتة .. وتركه الرجل بعدما شد على يديه في حرارة ... ونعته بالشهم الوفي ... واختلطت عليه الحقيقة مع الخيال .. وأقنع نفسه بأن هذا الرجل يعرفه حق المعرفة وسخر في أعماقه من بلاهة البشر .

وامتد الطريق واحكم هو البالطو الباهت حول جسده النحيل وكان الليل يضغط بأصابعه التاجية على جبهته .. حاول أن يغني لحنا قديما ولكن الطريق لم يمهله .. فقد انقطع عند منحنى وأصبح وعرا .. فآثر العودة الى قلب القاهرة التماسا للدفء .

وكان كلما أوغل في السير تتابعه أقدام محترسة .. كلما عبر افريز تابعته الى ان احتواه ركن في مقهى في شارع حسن أفندي .

وجاءه النادل بالارجيلة وكوب الشاي الحبر ... وراح يغذي نار الارجيلة ...فلسعته قطعة فحم متوهجة فسحب يده فجأة والتقت عيناه بعين الرجل .. الذي كان يتابعه .. والذي جلس أمامه .. وحاول في خجل وارتباك أن يبتسم له ... ولكنه قابل هذه المحاولة بلا مبالاة متناهية وراح من طرف خفي يراقب الرجل .. كان نحيفا عصبيا يخفي انفعالاته

تحت ستار التودد ومد له يده بالماشة وعبر بذلك منطقة عدم الثقة بينهما ونظر له نظرة متفحصة وهمس لنفسه ... انسان بائس .

فرد الرجل العصبي في سذاجة ..

بتكلمني يا افنـــدي

فقال هو في تفكـــه

يمكـــــــن ...

فرد الرجل في استخذاء .. ده شرف كبير ولمعت عيناه وهو يـــرى محدثه قد أخطىء تقديره .. من أول حديث بينهما .. وشعر أن ضحيته قد ابتلعت الطعم .. ووجدها فرصة مؤاتية للوصول الى غرضه المســـدل عليه ستار الغيب .. وقد اكتشف أمامه مقدار حماقة هذا المتعالي ..؟؟

وامتد الحديث بينهما ... بعد أن اقترب منه بمقعده .. وكان محدثا لبقا على غير مظهره المزري .

وعندما بدأ برواد المقهى في الانصراف .. قال الرجل .. ويتلفـــت حوله ويتثاءب لقد أوغل الليل في السواد وباتت الطـــــرق والشوارع غير آمنة .. وليس معي بطاقة ..؟

فرد .. عليه .. ولماذا ...؟؟

فقال الرجل في حنق مشوب بالود ... خلاف في البيت مع امراتـــي فنظر له .. ولمعت عيناه .. وبدأت غرائزه الكامنة تصحو من رقدتهـــــا الخاملة ... وقال ... :

ممكن نحله لو كان الطرفان متفاهمان .. ان الامعاء لا تستقر في المعدة على حال ... والخلافات ما هي الا ملح الحياة ..

فضحك الرجل حتى أغرقت عيناه بالدمع .. ثـــم صمت فجاة ..

وشرد وفجاة قام ودفع الحساب .. وخرج الى طريق القلعة المبلـــد بالاصالة والقدم وسارا معه حتى حي المقابر وكانت الوحشة قد استبدت به وشعر أنه مقدم على شيء جلل ... ولكن غرائزه حجبت عنه الالهـام الذي برق لحظة في سماء فكره .. ثم توارى في المجهول .

ولكنه قال في نفسه .. مغامرة مثل كل المغامرات .. لن تخلو مـن صيد ثمين .. والراجل ده بائس قوي .

وبعد عدة منحنيات هتف الرجل .. وقال لقد وصلنا .. ودلف من باب منزل عتيق مهدم الاركان .. ينبعث منه ضوء خافت مقبض للنفس .

ودخل معه حبا في المغامرة وطمعا في رؤية المراة لعله بسنواته الازهية ووسماته يجذبها الى مجموعته الفريدة ... اذا كانت جميلة .. ودخـل للصالون القديم وشعر بالغموض يلفه في هـذا المكان فتوجس خيفة .. ولكنه كعادته صمد .. ويريد أن يصل الى نهاية هذا الموضوع ... وفي هواجسه وجد الرجل الرفيع يخرج من جيب بدلته قنينة من الخمر وجلس يحتسيان الراح .. وثمل الرجل المضيف ... ولاحظ بابا مغلقا ... لم يشر له الرجل في حديثه ووقزته الرغبة الآثمة فقال بختة ...

ومين في الحجرة ديه ...؟؟

فرد الرجل بلا ... مبالاة .. زوجتي .. وهي متوعكة قليلا ...

ولاحظه الرجل من طرف خفي فوجده يطيل النظر الى صورة زوجته المعلقة كانت آية من آيات الجمال الشعبي بشعرها الاسود المسدل على وجه سقي بماء الصحة .. فبدا متوردا ...

فلاحظه الرجل فقال له في ضيق ...

فرد .. لا ..

فقال الرجل هي صورة قديمة لا تعبر عن ملاحتها الحقيقية ..

وظلت أنفاسه تتلاحق وتمنى لو اعتصر هذه المراة ..

وطال الليل يشربان .. حتى باتت الرؤية معتمة .. فقال الرجل في مودة ريح مكانك ... يا صديقي ...؟ فرد في غير اصرار لا في أصول ..؟؟ فرد الرجل .. احنا أصبحنا الان اخوة .. دانا بقالي عشرة سنين شبه وحيد مهجور كالمكان المهجور في غير انس .. ولمعت عيناه .. ونظر لـــه متسائلا ولما فرد ضاحكا ... ربنا يشفينا .. وما هي الا دقائق حتـى أسلم الرجل الى ملاك النوم .. وما يلبث أن علا شخيره وهـــو جالس مكانه .. فقام هو وأطفأ النور وراح في الظلام يتخيل ويتخيل ..

وقرر أخيرا بعد طول معاناة أن يتسلل لفراش المراة طالما أن زوجها لم يقربها من مدة طويلة ..

وها أنا بطل هذه الليلة وفارسها المغوار ... وها هو الرجـــل الساذج راح في السبات العميق طريقا الفرصـــة لي مؤاتيه .. بعد ان سكره البين .... وقام .. متلصصا ومشى على أطراف أصابعه .. ودفع باب الغرفة المغلقة .... وكان الظلام يعم المكان .. ولم يستطع أن يوضح ملامح الحجرة المظلمة جيدا اللهما سريرا .. كانت عليه اثنى نائمة .. كما تخيل .. دلت عليها ظلال جسدها الملفوف بالملاءة البيضاء التي ظهرت في الظلام من الشعاع الساقط من سقف الحجرة .. وخلع البالطو وأعقبــه بالقميص وسقطت الولاعة التي أهداها له أخوه فوقف برهة يسترق السمع لما أحدثته الولاعة من صوت .. ثم اندس في السرير وهو شبه عاري وشعر بطراوة الجسد الانثوي فراح في حذر يداعب الاماكـــن البارزة في اعتصار وفوران .. وشعر في الظلام ان هناك سائل راح يزيـــل عـــن أصابعه بمسحه في ملابسه الداخلية التي كان ينتظر لحظة واحدة فيتخلص منها .. كما تخلص من حذره وهمس في استجداء ..

ما هذا الجمال ...؟؟ ولكن الصمت قابله .. فلفه في ثوبه الاسود

فصمت قليلا ثم عاود الكرة وراح يبحث عن شفتيها ليسكب فيهما أغاريد الحب الموفق للوصول لغايته السافلة وتحسس اللحم الذي توقف بعد الاكتاف وأعمته الغريزة وظل يبحث بأصابع مرتعشة عن رأس المرأة التي لم تكن في مكانها .

شلته المفاجأة تماما ثم انفجر في هستريا انها مذبوحة ... واندفع ناحية الباب كالقنبلة وراح يجذبه ولكنه كان موصدا من الخارج وأصيب بلوثة في الظلام عندما تبين السائل اللزج انه دم ولم يفق الا ووجد نفسه في قسم البوليس .



حب في الزمن البخيل

نافذة لم تطفىء نورها بعد وحيدة وسط الظلام ... عيون ساهرة تراقب الفراغ ذي اللون الاسود يلف المكان كله ... مشاعر انسانية حبيسة تبحث عن الهدوء وسط العاصفة أو شاطىء ترسو عليه بعد الاغتراب في النفس .

وضعت خدها الملتهب على حافة النافذة وظلت ترمق الافق غير الظاهر وسرحت العيون في الصمت والليل وفرت دمعتان على الخدين وكان هناك صوتا هامسا في أعماقها متى يحضر ..؟ وما الذي جعله يتأخر هكذا ... ودقت ساعة الحائط خلفها دقة واحدة ونام الليل في طرقات المدينة وكان عسكري الحراسة قد شعر بالوحدة الخالية على امتداد البصر فراح يرفع عقيرته بالغناء عله يؤنس النفس القلقة .

راحت تتابع بصعوبة كلمات أنشودته ... كانت اغنيات خليط تعبر عن الحنين للبيت والاولاد والراحة من تعب الدنيا ... وشكوى هذا الزمان وفاجأها خاطر مفاجىء فلملمت الليل الساجي على كتفيها في عقدة بدائية وتساقطت ذوائبه على كتفيها واخرجت من تحت الوسادة صورة لشاب في عنفوان شبابه يضحك ضحكة عريضة وثقة غير مبالي بشيء راحت تهمس للصورة اين انت الان ..؟ لما لم تحضر كما وعدتني فرد الصمت عليها بمزيد من الصمت طبقات فوق طبقات شعرت بها تجثم على صدرها الرقيق الذي شف عنه الثوب فبدا في نهدين جميلين في مرحلة التكور .. واسندت راسها المتعب على حافة سريرها وراحت تراقب قمر مختفي خلف سحب رمادية كلما ظهر جزء منه اطبقت عليه لا تتركه ينعم قليلا بالحرية .

هل كل ما قاله لها في الصباح تبخر واندثر .. الم يعدها بزيـــارة أهلها وطلب يدها منهم ..... ما الذي أخره ... ولقد كان ايمانه بـــي يفوق الحد وهو لا غيره الذي كان يؤمن بأن حالتنا قــد وصلت الـــى اللاعـــودة ..؟

هكذا يتحول الانسان ببساطة من قمة الحب الى سبح النسيان من الذي يذر بذور القسوة في نفسه ان شوقها لمرآته قد برح بها ... ولف الحزن شاله الاسود حول مشاعرها ولم تجد منه فكاكا ... وراحـــت تستعرض فصول حبهما الطاهر الذي ولد في لحظـــة من لحظات الشرود في أروقة الجامعة العربية .

لقد شعرت وهو يودعها في الصباح أن هذه اللحظات لن تعود أبدا وان شيء سوف يحدث ولكنها كبحت جماح أفكارها .... واستنكـــرت هواجسها نحوه .

لقد تعرفت به أمام لوحة الخطابات في الجامعة ، التي كان يمـــر بعينيه باحثا عن خطاب من أهله في مصر .

وجد خطاب بالفعل قبله في امتنان قبلة جذبتها له تمامـــا وراحـــت تلاحظه وشبكة من الدموع تتجمع داخل عيناه وهو يشمشم رائحة الوطن من على الغلاف ويهمس لنفسه بعبارات تبينت منها ... بعض الكلمـــات المبعثرة ، كنا هناك نرتشف الحنان ونشعر بالاطمئنان عندما تحتوينا يـــا وطن ، كيف نلج الزمان بغير أن نتزود منك بحفنة نور ... أو برشفة ماء أو بنسمة هواء .. أشياء لولاها لكان النسيان منسي منسيا . والتقـــت عيناهما معا فخجل هو واخرج عبارة عفوية .. دفعتها للابحار في عالمـــه (أهناك أغلى من الوطن يا آنسة) وتذكرت محنة وطنها .. فبكت هي الاخرى وردت بلا وعي ... لا ... وكانت .. لا هي مفتاح الحب ... الذي فتح في السماء ... وبادرها بالسؤال من اين يا أختا ...؟؟

ولمعت عيناها الخضراوان ببريق الحيرة .. من هنا .. اليست بلاد

العرب كلها واحدة ...؟؟

وقالت معاتبة .. أظن الدموع لا تليق بالرجال .. وضحكت تشجعه أن يقترب منها ... ولا ندري ماذا في نظرة العينين من تأثير على المشاعر.. وبهدوء امتزجت روحهما في بوتقة الرغبة .. ومضت في الاعماق .. ومضات متلاحقة تعلن عن ميلاد الحب .... تعلن . ولكن العقل حدد لهما (الخطوة المقبلة) وافترقا على لقاء في منزلها لكي تقدمه الى أهلها ليتعرف بهم .. وتمتع عيناها بشخصيته المتعددة .. ولكن لم يأت حتى الان ..؟؟ وشعرت بالجذع عندما تذكرت أن أهل بلدتها قد تجمعوا خارج حدود حيهم ومعهم السلاح كي يدافعوا عن انفسهم ضد الاحياء الاخرى المغيرة ... على أحياءهم .

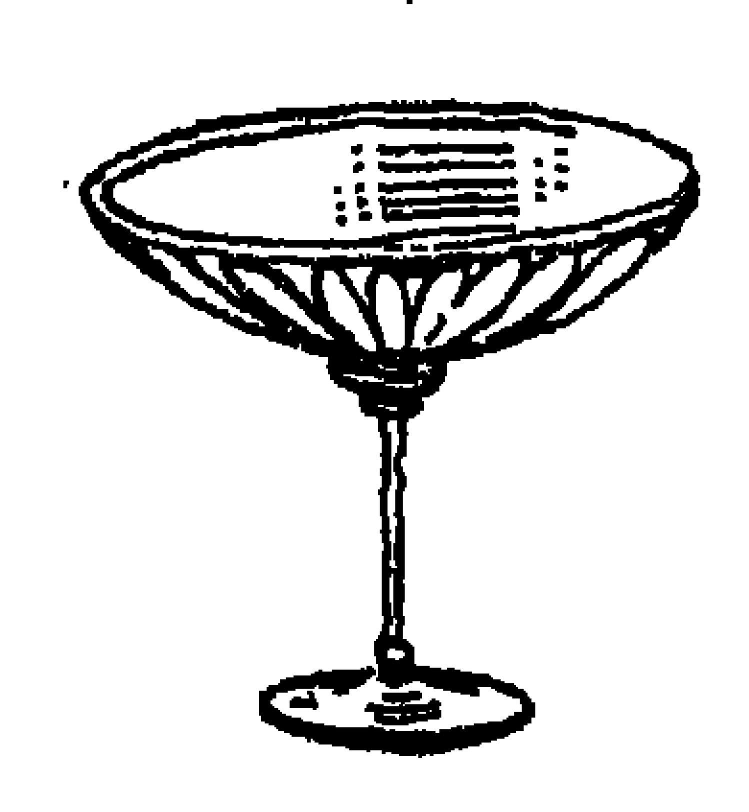
وضحكت ضحكة مقرورة .. وتساءلت .. أيمكن أن يحب انسان .. في هذا الزمان ..؟؟ زمن الحرب والدمار .. وضياع الانسان .. وقلقه.. واغترابه وفاضت عيناها بالدمع .. وهمست يا لك من زمن بخيل أرعن..؟؟ لم يعد فيه الانسان الا سلعة ذليلة يتلاعب به تجار مهرة .. في سوق لا يخضع لشيء سوى سلطان القوة والبطش .... الحب الان لحظة اثيرية ... لكنها عاقلة تمر عبر ساعات وأيام تزهو بحمقها ... الانسان خلع برقع الحياء مستهدفا مشاعره المادية فقط .. وغطت بناء الاخلاق .. واندفع البشر جميعا في صراع الكراهية ... وعلا صراخهم وعم ضجيجهم.. فطغى على ارق همسات الانسانية .. الحب ... ذلك المخلوق الرقيق الناعم الذي يربط بين القلوب ويعمر الكون ... وهو أجمل لفظ أهمس به لنفسي في وحدتي وأتمنى من أعماقي أن أصونه في قلبي ..؟؟ آه لو يأتي ..؟؟ سوف أسعده باعلان حبنا أمام الجميع في النور ...

لعلي أعوض له لهفة الحنين للوطن أو البعد عن الاهل ... سوف أهبه مشاعري الفياضة فقط يحضر ...؟؟

سوف أحكي عن عذابي له ... واطيل .. ولكنه لم يحضر ...؟؟

وقامت تنظر الى الطريق الساكن .. وترامـــــى لسماعها صراخ طائر .. قد أزعجه شيء فراح يزعق ....؟ وتوجست خيفة .. وراحت تبتهل في أعماقها أن يحفظه الله وتذكرت الاخطار المحدقة به ... فبكت في حرارة وتساءلت ألن تشرق الشمس مرة أخرى ...؟؟ الا يعود لهـــا حبيبها ...؟ وكانت ليلة رهيبة .. لا تدري كيف مرت ...؟؟

وفي الصباح ذهبت للجامعة .. ووقفت بجانب لوحة الخطابات ... ولاحظت تجمهر زاد من قلقها وكان الجمع يشير الى اعلان .. وعندمـــا تحققت منه لم تشعر الا بالدنيا تدور بها دورة مجنونة .. ثـم تلقيها .. وشعرت في مرارة في حلقها ولعنت الدنيا ومن عليها .. كرهت الحرب .. ولعنت الحمق .. وكان النعي موضوع في مكان ظاهر للعيان كوصمة عار في جبين الانسانية ... وانفض من حولها الجمع المحتشد .. ولكنها لـم تبرح مكانها وظلت وحيدة ترمق النعي بعيون ذاهلة ..؟؟ ضحكت في أعماقها السخرية فظهرت على لسانها سحقا لكم لقد قتل الحب في هذا الزمـــن البخيـــل .



يحيى حسن البيلي

القارب الصغير

هدايا العرس

الموت والبعث

١١٠٧

القارب الصغير

البحر امامي يمتد بلا حدود .. أحبه جدا لانني أحس أنه لا نهائي ، زرقته الصافية وقاربي الصغير يشق أمواجه ، أحيانا تداعبه الامواج مداعبات خفيفة فيهتز قليلا وأشعر بالسعادة .

ـ سألتها ذات يوم : اذا كانت هناك مشاعر لا نهائية غير محدودة ؟

لم تجيبني ..! وسرحت وقتئذ في عينيها الصافيتين ، أحسست بدفء قلبي وجمال الحياة . مرت بجوار القارب سفينة ضخمة ، اخذت ترسل الموجة تلو الاخرى ، اهتز القارب في عنف ، تطلعت الى السفينة حيث أطلت بعض الرؤوس ، رأيت أصابعهم تشير تجاهي وتعلو على أثرها ضحكاتهم .

ـ سألتها : هل تحبين الحياة ؟ لم تجيب ..! واغرورقت عيناها بدموع بدأت تتساقط واحدة تلو الاخرى ، ولم يكن معي منديل لاجفف به دموعها !

جدفت بقوة وعزيمة واتجهت صوب اللانهائية ، كنت أريد أن يكون كل شيء واضحا محدودا .. فكرت لو بإمكاني أن أصل الى الجانب الاخر من البحر حيث اوروبا !!

تعبت يداي فتركت المجداف وتركت قاربي يقوده الموج .

ـ سألتها مرة وكانت يداها تطوقاني وشفتاها ملتهبة : هل ترغبين في الزواج مني ..؟ لم تجيب ..! ولم يظهر في عينيها أي بريق .

هاج البحر ومالت أمواجه ، اخذت ترتطم بالقارب ، الشراع تكسر، تمنيت أن يلقيني البحر في جوفه ويبتلعني ، لكن ما لبث أن هدأت حدته ووجدت الشاطىء امامي . رايتها تلوح لي بيدها ، اندفعت تجاهها في لهفة وسرعة ، ارتميت بين أحضانها وذابت دمعتي الوحيدة فوق خديها .

قلت : ها أنت الان ، وها أنا ، وها هو البحر . فليرسي بنا شراعنا

رايت عيناها تلمع ببريق حاد ، رايت بداخلهما دبيب خطاي فايقنت أن الموج قد هدأت حدته وأن البحر قد عاد صافيا كما كان .



هدايا العرس

أسرع خطاي كي آتيه في الوقت المحدد ، أحاول قدر امكاني ألا أغضبه واجيء في الميعاد لا تأخير دقيقة واحدة ، واجده دائما في انتظاري .

ما أروعه حين ألمحه عن بعد وهو يقف يراقب المارة ، ينظر في ساعته باستمرار ، حين يراني ترتسم على وجهه ابتسامة مشرقة ، يمد يـــده القوية الي يرتعش جسدي بمجرد ملامسته ليدي .

يرطبني بملاحظته عن زينتي وهندامي لا يفوته مطلقا أن يقول :

ــ ما أروعك اليوم انك أجمل كثيرا من الامس .

وأتوه مع كلماته الدافئة ، نسير متجاورين في خفة وكأن ما نسير عليه ليست الارض . اترك له امري يوجهني كيفما شاء ، نجلس هنا أو هناك سيان ، فقط اجلس معه وأرى عينيه السوداوين المشعتين دائما بالامــل والحب ، أرى بداخلهما أعماقي الخفية ، أحس بأحزاني كأنها خرجت عنوة حين اسمعه يهمس بكلمة حب ، كل يوم يمر يزيد هيامي به وأراه يزداد بــي حبـــا .

وكنت آتيه هذا اليوم وعندي الكثير لاقوله ، لكن لم ألمحه واقفـــا كالمعتاد ! اندهشت ، لكن عاودني أمل أن يكون في طريقه الي ، يبدو انني قد جئت مبكرة بعض الشيء . تمر الدقائق دون أن يأتي ، أنتظر ويكـــاد يقتلني القلق .. عيناي تائهة ... تنظر هنا وهناك عساها أن ترى ملامحه من بعد ؛ أ حاول أن أبعد بعيناي الى منطقة أبعد من الرؤيـــا الواضحة .. أيكون هذا ؟ لكن اكتشف حين يقترب انه لا يشبهه على الاطلاق ، وأقول في نفسي : كيف صور لي خيالي أن هناك شبه بين هذا الانسان وانسانـــي

اننا ؟! واقارن بينهما في الحال . والنتيجة دائما معروفة ، ليس هناك اجمل منه ، رشيق الحركة مثله ، معتدل القامة ، عميق العينين .

آه .. ويقتلني الانتظار وتكل عيناي ، أنظر في ساعتي فأجدني قد انتظرت اكثر من نصف ساعة ، يساورني الشك ، لكنني اقطعه بأن هناك ظرف طارىء قد حل به منعه من المجيء وأتمنى أن يكون ما حدث له خيرا .

أعود ادراجي ، أبث الامل في نفسي ، سيأتي غدا .. ويكون الغد ، أنسى قلقي وتعاودني فرحة اللقيا ، أود لو كانت أقدامي أكثر اسراعا ، أود ان تكون عيناي أبعد رؤية كي ألمحه من مسافة أبعد واملي عيني منه وقتا أطول . أقترب وكلما زاد اقترابي يزداد ابطاء خطواي، يزداد انكماشي في نفسي ، تزداد الهوة بداخلي وأحاول أن أبث الطمأنينة في وأقول في نفسي : لماذا كل هذا ؟ هو بالتأكيد سوف يكون هناك في نفس الميعاد ، سأجده في انتظاري يراقب المارة ويرمق ساعته كل حين ، وحينما يراني سيعاود وجهه الاشراق .

وأحاول أن أسرع خطاي لكن يتغلب علي احساسي العميق فلا أستطيع الاسراع وازداد انكماشا اكثر .

أقترب من المكان ، أصعق حين أراه خاليا ، ليس هناك بعد ، سوف يأتي بعد قليل ، انشبث بآخر أمل واضع فيه عمري كله ، ويمر الكثير دون أن يأتي ، أعود مثقلة بأحمالي ، أحس مع كل خطوة ابتعد بها عن المكان انني سوف اقلب على وجهي وسوف أغيب عن الوعي ، أريد أن أبكي تريد ان تخرج ، اقاوم ، أتانى الطريق ، الدمعة دمعة حارة تعتصرني ، تلح أكثر ، لم أعد أستطيع وتخرج دمعات غزيرة .. غزيرة أريد أن أوقف نفسي ، وكلما فكرت في هذا يزداد بكائي وشهقاتي ، الناس تحدق بي ، أسمع همساتهم المستعطفة ، لا أستطيع أن أوقف نفسي ، لقد انهار كل شيء ، لم أكن أدري أنه سوف يفعلها ، لم اشك لحظة واحدة ، أيكون قد سافر كما أخبرني ذات مرة ؟! لكن لا .. انه لم يكن جادا ، ثم اذا كان عزم على السفر فلماذا لم يخبرني ؟ أيتركني وحدي هكذا ؟!

وبالكاد وصلت منزلي ، ظللت في فراشي ممددة ، لا اعي ما حولي ، أحدد ملامح أبي وأمي بصعوبة ، أجد الحزن مرسوم على وجهيهما ، تجذبني أمي من ذراعي في رفق وبصوتها الحنون تنادي باسمي .. اسمع صوتها

وكأنه يصل الي من بئر عميق ، أرى وجههما وكأن ستائر ضبابية تفصل بيننا ، اشعر بشكة تغوص في جلدي ، ويسري شيء في عروقي ، ويعاودني النوم ، نوم عميق لا أحس فيه بما حولي .

يطالعني وجهه ، أرى دمعاتنا تترقرق فوق خديه ، أمسح دموعـــه ، اميل اليه ، أقبله ، ينظر الي مستفسرا . اقول :

ـــ نعم لقد صفحت عنك لتكن بجانبي لا تتركني مرة أخرى .

ـــ يجيبني في صوته الدافىء :

ـــ لكنني يجب أن أسافر لوقت ، ثم أعود اليك محملا بهدايا العرس. انتظريني .

ـــ سأنتظرك ، سأعد دقات قلبي أثناء غيابـــك ، وحينما ستأتي ستكون ذراعي لك مفتوحة .

رأيته يبتعد .. يبتعد .. تأخذه سحابة بيضاء فوق أجنحتها وترسي به هناك في البلاد البعيدة حيث سيجيء بهدايا العرس .

الموت والبعث

سرادق مقام بأحد الشوارع ، مجموعة من الرجال تتلقى التعازي .

توقف على مبعدة ، سأل احد الرجال :

ـ مـــــن ..؟

جاءته الاجابة حادة ، ارتطمت بأذنيه فكادت أن تفقده حاسة السمع.

واعاد السؤال ذاهلا ؟

ـ مـــــن ...

ـ هـــل تعرفهـــا ..؟

ـ كيـــف ..؟

ـ قضـــاء وقـــدر .

ابتعد سريعا ، سار على غير هدى قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه .

قضاء وقدر .. كنت أؤمن انها ستظل الى الابد ..

دون أن يعي ، انطلقت من فمه صرخة مدوية .

ـ عايـــدة ..

التف حوله اخرون ، سألوه ماذا حدث ..؟

احس انهم لن يهتموا بالاجابة ومع هذا اجابهم :

ـ لقـــد قتلـــت .

ـ مـــــن ..؟

ـ عايـــدة ..

هزوا رؤوسهم ، وانطلق كل منهم في حال سبيله ..

عاد وحيدا ، رأى على مبعدة صديقا قديما ، هرول اليه أمسكه من ذراعه ، عايدة قتلت .. الصديق هز رأسه ، وافلت ذراعه من يده ، ومضى الى حال سبيله ..

أصبح كالمجنون ، يوقف كل انسان يقابله ، يعرفه أو لا يعرفه ، ويلقي اليه بالفاجعة يهزون رؤوسهم ، ويمضون في حال سبيلهم ..

لم يدر ماذا يفعل ، توقف فجاة ، مضت عينيه تبحث عن شيء في هذا الكم الهائل من الحركة ..

العربات تنطلق دون توقف ، الناس يسيرون ، القناديل ما زالت مضاءة .

البائعون ينادون على بضائعهم ، المؤذن ما زال يؤذن في الناس .

وبائع الصحف المعتوه ما زال يردد :

اقرأ آخر الاخبار .. أمريكا تتحارب مع الروس يا ولاد .. والمدافن تتصبح بالاكوام .. ها ها ..

لا أحد يهتم بالبائع المعتوه ، اقترب منه في حذر ، همس في أذنيه بصوت خافت :

ــ عايدة قتلت ...

فزع البائع المعتوه ، راح في نحيب مستمر ، ارتمى على الارض ، أخذ يرفس الهواء بقدميه ، جلس الى جواره والدمع ينزف من عينيه وقال :

ــ عايدة كانت أمل وليست سراب ..

رد عليه البائع المعتوه في شجن :

ــ عايدة مرة سقتني شربة ميه ..

ــ قتلوها ومشوا في جنازتها ..

ــ مرة جابت لي لقمة وقطعة لحم ..

ـ كانت عايشة جواي ، وبتحلم بأشياء كثيرة ليس لها حدود ..

ـ ملابسي التي أرتديها من خيرها ..

قالت لي ذات يوم ، ابق بجواري ، أنا محتاجة اليك ، ولكن انـا كنت حاسس أنها اقوى من كل شيء .

ـ أولادي الصغار اليتامى كانوا يلتفوا من حولها ، وتجلس بالساعات تحكي لهم الحكايات ...

ـ حقا .. حكايتها دائما جديدة ولا تنتهي .. فهي شايلة جواهـا حكايات السنين كلها ..

ـ يـــا عايـــدة ..

ـ يـــا عايـــدة ..

اقترب اكثر من البائع ، وتجمدت عضلات وجهه ، وزعق :

ـ عايدة لابد أن تعود .. سوف تعود ...

نهض مسرعا اختار اقصر الشوارع الى بيته ، دخل البيت العتيق ، كانت امرأته في انتظاره لم يرها منذ سنوات ، أخذها من ذراعيها ودخـل حجرة النوم وعاهد نفسه أن يرعى عايدة القادمة بعد تسعة أشهر .

سيّد عبد الحق

السقوط في بئر الماديات

صورة حضارية

السقوط في بئر الماديات

لبث سراة يومه وعلى ظاهره من السكون طلاء ، وفي باطنه من الجزع صلاء . ذكرته أمه بصديقه شريف ، الذي أعير الى ليبيا منذ سنتين، تنبه فيه هاجع السرور ، راح يكتب الى صديقه نافضا اليه جملة حاله... الايام تمر في بطء ثقيل ... وقد اشتد الامر وضاق وتقابلت حلقات الوثاق، وصاحبنا يحس في داخله أن وجه أمله قد انقبض ، وصار على باب اليقين من أنه سيظل في قيد لا تصل يده ولا يصل فكره الى صدعه ، وان كل ما بناه من اجل ولده الوحيد سوف يضيع في طريق المرض الذي الم بـه واستبد . واوصدت كل الابواب في طريق البراءة منه الا بابا واحدا تلوح منه شمس الامل .. لكنه بعيد ، بعيد جدا ، بعدما نفذ كل ما معه .

لاذ صاحبنا بالصمت .. ولاذ بالمسجد .. عندما يوغل الليل ، ويسكن كل شيء ويهمد ، ويفرش الصمت الرهيب رداءه الحزين على البيوت والنفوس ، ويتلاشى الكلام وتلتصق الشفاه ، وتنسدل الرموش ، وتتوهد الانفاس وتتصاعد .. تتصاعد حرى .. تشخص عينا صاحبنا الى السماء حيث واهب الحياة ، حيث الله .. حيث الله .. حيث الله ... الله الذي لا يغفل ولا ينام .

* *

وصلت الرسالة الى شريف .. وما الجرح ينكأ به الجرح باوجع في نفس الجريح من وقع الرسالة على نفسه .. ماذا يفعل ؟ وقد ارسل كل ما معه منذ أسبوع الى والديه واخوته ، تزاحم الدمع في عينيه ، ابتلع الحرج شخصه ، وشتت الخطاب فكره ... ساقه قائد الاضطرار الى

اقتراض المبلغ من بعض الزملاء النبلاء .

وكيل البوسته يريد أبا وحيد ، هامت زوجته بحثا عنه ، مثل أمام وكيل البوسته وقد علق أنفاسه وأخرس صوته .

ــ لـك حوالة بريدية من ليبيا .

ــ الحمد لله .. نطقت بها كل أعضاء جسمه في صمت لم يتحـرك معه لسانـه .

سافر الى لندن ، أجرى لابنه العملية الجراحية ، نسي أن يرسل خطابا لشريف يطمئنه فية على ولده من هناك ، أخذ الارتياح يتسرب الى نفسه لما راى ولده يشب طلبا للخروج من بئر المرض ، عادت البسمة الى شفتيه بعودة الصحة الى ولده ... عاد به الى البلد ، وعادت لهم الحياة الطبيعية في ثوبها القشيب بعد غيبة طال مداها .

* *

وافاه خطاب من البنك الاهلي بأسم ولده (وحيد) ، شغل بنـات أفكاره ، فتح الخطاب بعد أن وقع على استلامه ... أفاد الخطاب أن أحد أرقام شهادة الاستثمار التي لوحيد فاز بالجائزة الاولى وقدرها خمسة عشر ألف جنيه .. تنافرت أفكاره موثوقة بالفرحة التي لم يقو على تحملها، تذكر صديقه الاستاذ شريف يوم اشترى لوحيـد شهادة استثمار بعشرة جنيهات يوم ميلاده ، فاضت عينا زوجته على ذكرى الاستاذ شريف ، ارتفع صوت أمه للاستاذ شريف بالدعاء في غربته معقبة بالدعاء لابنها وحيد بطول العمر لكي يوفيا بعض الجميل للاستاذ شريف .

ضحكت الدنيا لصاحبنا بمن فيها ، واتسع اليسر بعد ضيق العسر . اشترى سيارة أنيقة لمشاويره ، عمل مزرعة دواجن . بنى بيتا جميلا كل ذلك وخطابات الاستاذ شريف تنهال عليه طالبة الاطمئنان على صحة وحيد . لم يزل نجم صاحبنا في صعود وهمته في صعود يبيت رخي البال رضـي

الحال ، والاستاذ شريف أضحى فريسة للهواجس لا يحتويه مضجع ولا يلتقي له جفن بجفن بسبب ما يساوره من قلق على ابن اخيه .. علـــى وحيـــــد .

دارت الايام دورتها وعاد الاستاذ شريف . عصفت به الفرحة لمـــا سمع ما وصل اليه صديقه وآل اليه حال ابنه ، التقيا ، عاتبه ، اعتذر بكثرة مشاغله .. خطب الاستاذ شريف العائد من ليبيا ، والمسلطة عليه الاعين ، أخذ يجهز الجهاز اللائق به وبعروسه احتاج المبلغ الكائن عنـــد صاحبنا .. لا أحد يعرف ، ولا يود أن يعلم أحدا .. كيف يبدأ بالطلب ؟ وما هذا الحرج ؟ أرسل رسولا ، وهو يود أن تسيخ به الارض قبل أن يعود الرسول خجلا من اخيه .. أوصى الرسول أن يخبر صديقه بأن أخاه شريف يريد الزواج وفي حاجة الى مدد منك !!

هبت منه ريح الخساسة مع رده ، وانقبض وجهه .. وأعطى الرسول اربعين جنيها ! .. أربعون .. فقط ، المبلغ كله ألف جنيه .. ما هذا يا ربي ؟! مرت أيام ولم يسأل صاحبنا في شريف ، أجل شريف زفافه لضيـــق ذات اليد ، مرت أيام أخرى ، وأيام ، وأيام ، لم يسأل صاحبنا .. أرسل له شريف الاربعين جنيها مخبرا انه لا يريده ولا يريد منه شيئا .

واصر على الا يصادق أحدا ....!!

صورة عارية

جلست القرفصاء ويداها تمسك بـ «السبت» كأنها تحتضنه مخافة أن يهرب أو يمحوه الزحام الرهيب الذي لم تعهده في البلد ، وبجوارها جلس متربعا على الارض .

قرابة الباب ابنها الصغير ، لكي ينزلا بسهولة في محطة المعصرة . خط حلوان تلك المنطقة المكتظة بأنصاف المتعلمين من ابناء القرى النازحين الى القاهرة الساحرة تعلقت عيناه بها وهي تدور في ثبات فني بارع ، واقترنت بسماته بدورانها ، انها «الرفيقة» كما يسمونها أطفال قريته ، تعلقت به عيون جماعة من الشباب الذين وقفوا بالقرب منها يتندرون عليهما ، لعبت في أرض رأسه آلات الحلاق فدعتها مثل خريطة غير منتظمة الخطوط ، جلبابه يتسع لطفل مثله معه ، ينتعل حذاء من البلاستيك الحذاء الايمن في قدمه اليسرى ،، تتقافز عيناه بين اشياء يراها لاول مرة ، الزحام يزداد ، فيحول بينه وبين استمتاعه بما يرى ، تعليقات الشبان الذين وقفوا بالقرب منهما تنهال على مسمع السيدة كالصواعق ، ينسيها طريف الاسى الناجم عن اولئك النفر الذين تلوح عليهم سيما الانذال وترد عليك منهم سحنة الهاربين من قراهم طلبا للرفة الذي لا يجدون له سبيلا ينسيها تالد العناء من جراء السفر والزحام والاستغلال الذي يتمتع به قائدو سيارات الاجرة .

مالت السيدة بصدغها الايمن على قبضتها اليمنى مرتكزة على حرف «السبت» ولا تزال يسراها ممسكة به ، تعالت ضحكاتهم مع تزايد الزحام، انطلق القطار وليس فيه للسمع أو للبصر مجال . يزاحم صوته تعليقات اولئك النفر الذين تهب معها من أردافهم ريح الخساسة ممتزجة بمصطلحات

القرية التي يحاولون عبثا التخلص منها ، فهي في دمائهم باقية وعلى وجوههم دائمـــــة .

سألت عن المحطة ، قيل لها : هي الثالثة بعد هذه ، ايقنوا انهـــا ستهبط المصرة رقصت بهم فرحـــة النقص ، وطوقتهم نزوة الخلاص من واقعهم الذي ذكرتهم به هذه السيدة وهذا الطفل ، صمتت صمت الجبـــل والحزن يفعم قلبها ، تأهبت للنزول ، ساعدها واحد ممن تجري المروءة في عروقهم ، نزلت وابنها ، نزلوا في اعقابها ، انتظـــرت و «السبت» فوق رأسها تمسكه بيد وباليد الاخرى تقبض على يد ولدها حتى يمـــرق القطار ، مرق القطار .

ــ الباشمهندس محمود ... هـــو

عيناه مسلطة على شيء ما ، وقفوا أمامه في وقار مصنوع ، صافحوه، لا تزال عيناه مسلطة على نفس الشيء .

انها امه ، نعم امه ، أم الباشمهندس محمود مدير القسم الذين يعملون فيه جاءت من البلد لزيارته .

ودوا لو تسيخ بهم الارض ليختفوا عن محمود في هذه اللحظة ، تعانق محمود وأمه ، تعلق اخوه بعنقه ، كادت اعضاؤهم تتزايل حرجا ، وتسيل نفوسهم خجلا ، تنافسوا على حمل «السبت» حمله اثنان ، وعلى عنـــق الثالث ركب الطفل كما يركب حمارة أبيه ، صاروا خلـــف الباشمهندس محمود وأمه . منكشين تحت ذل الانكسار .

ــ من هؤلاء ؟ سألت أم محمود

ــ بلدياتك يا أمي ... من عزبة «الاصلاح» .

ــ آه .... عزبة فلاحين الخواجة .

ــ دا الاسم القديم يا امي ، عمال في المصنع ، تبع القسم بتاعي ..

علاء الدين محمد يوسف

العصا..

العربة...

العصـا ...

عندما أشار الي الاستاذ كمال بعصاه تمنيت لو تنشق الارض عني فلا يبقى لي وجود بيد أن هذا بالطبع لم يحدث ولكن عندما هممت بالوقوف أطل وجه من باب الفصل والقى صاحبه تحية الصباح على الاستاذ كمال مدرس الحساب الذي تمشى نحوه ولا تزال عيناه مثبتتان علي — أو ربما هكذا خيل لي — حتى اذا كان قبالة الباب التفت لزائره يحدثه . بينما انتصبت أنا واقفا وان بدوت غير ذلك لفرط قصري .

كنت التلميذ الوحيد في فصل رابعه ثان الذي لم يشترك في مجموعة الاستاذ كمال ليس لنبوغي ولكن لان طنط — زوجة أبي — ترفض دائما ان تدفع مليما واحدا فوق المصروفات المدرسية وكان الاستاذ كمال قد طلب منا أن نحل بعض المسائل الاضافية وأذكر اني عندما بدأت محاولة حلها بالامس طلبت مني طنط النزول لشراء الخبز فقضيت ما يناهز الساعة في المخبز في انتظار دوري ما بين لكز ولكم حتى عدت وانكببت على الكتاب أحاول حل تلك المسائل ولا أعرف سوى انني استيقظت صباحا لاجد راسي مسندة على الكتاب فتبين انني نمت ليلتي جالسا أمام المنضدة .

لم انتبه من أفكاري الا على صوت العصا تطـــرق الدرج أمامي فعاودتني رهبتي السابقة وسريعا حول الاستاذ كمال بصره الى كراستي ثم راح يقلبها بطرف عصاه بينما كانت عيناي تروغان عينه ويره كمن يبحث عن مخرج ، ولم تدم حالي هذه طويلا فلم يمهلني حتى قال :

— فين حـل المسائل ؟..

وابقيت يدي بجانبي أو قل انها بقيت كذلك بينما اشارت سبابتها في

خذز موافقة صوتي الخافت قائلاً :

ـ أهـــــــه !

ـ لا .. المسائل الاضافية .

سكت لساني للحظة تمثلت أمامي فيها حوادث الامس ثم قلت وانـــا أزدرد لعابي بصعوبة :

ـ ماعرفتش احلها .

فقال ممتعضا وهو يتحسس العصا في ضيق :

ـ المسائل اتحلت في المجموعة ...

ولم يمنحني الفرصة للحديث مرة اخرى اذ اضاف قائلا :

ـ افتـــح ايـــدك .

قالها وهو يربت بالعصا على كتفي في حركة معتادة فشرعت في مـــد يدي في بطء وتردد ، وبينما كنت أرى العصا ترتفع في الهواء أردت أن أقول للاستاذ كمال انني أردت الاشتراك في المجموعة ولكن طنط هي التـــي رفضت ، ولكن العصا هبطت على يدي الصغيرة فقتلت الكلمات على شفتاي وكادت دموعي أن تفر هاربة لولا أن امسكت بها ورحت أحملق في اللاشيء بينما العصا تنهال على يدي للمرة الثانية فتجهض الكلمات قبل أن تولـــد في فمي .

ما ان اشار الاستاذ كمال لي بالجلوس حتى دق الجرس معلنا انتهاء الحصة فتحرك هو نحو الباب قائلا :

ـ الكراسات تجيني بكره كامله .. فاهمين .

وما ان دلف خارجا بقامته المديدة حتـــى سرت عدوى الكلام بين التلاميذ بينما رحت أتأمل يداي المتورمتان وافكر في أمر الغد حين يجمـــع الاستاذ كمال الكراسات واستدرت الى جاري طارق قائلا في لهجة ودود :

ـــ تسلفني كراسة الحساب يا طارق ؟.

فتلفت جهتي وكان يدافع اخر بيديه ويتقاذفان بالطباشير وقال :

ـــ معلهش يا محمود ... أصلها مش كاملة .

لم إهتم كثيرا برفضه بل رحت ابحث ببصري فيمن حولي عمن يعيرني كراسته ولم يكن أحد منهم ممن يكترث بي ، حين باغتتني يد ممتدة فنظرت الى صاحبها فاذا بها سلوى التي تجلس في الصف الذي يليني وقد امسكت بكراسة وهي تقول :

ـــ خد يا محمود .. كراسة الحساب بتاعتي .

ثم اضافت في رجاء رقيق .

ـــ بس اوع تنسى تجيبها بكره .

لست ادري ماذا دهاني فلم أنبس بكلمة وتسمرت عيناي على تعابير وجهها الدقيق وبدا لي وكأن شيئا غريبا يطل من عينيها لم أعهده من قبل ، ولا أعرف ما الذي دفعني لان أخرج من حقيبتي قطعة من الشيكولاته ادخرت طويلا حتى اشتريتها لاقدمها لها ولكنها قسمتها الى نصفين اعطتني أحدهما وراحت تأكل الاخر وهي تقرر لي أنها أيضا تحبها كثيرا .

صارت سلوى صديقتي الوحيدة ، وجرى الحال على ان تعيرني كراسات المجموعة كل اسبوع حتى ذلك اليوم عندما اعطتني كراستها وتغيبت سلوى في اليوم التالي .

اصبح غياب سلوى ملفتا للنظر أو على الاقل بالنسبة لي ، اذ تغيبت اليومين متتاليين. مما دفعني لان اسأل جارتها ايمان عنها فقالت لي في اهتمام :

ـــ سلوى عيانة قوي ومش حتيجي المدرسة الاسبوع ده .

لا أعرف كيف كانت مشاعري ساعتئذ ولكن أطلقت دموعي فجرت على خدي ولم احاول امساكها .

وفي عصر ذات اليوم عندما ناولتني طنط القطعة الورقية من فئة الجنيه كانت معها ورقة اخرى خطت فيها كلمتين أو ثلاث ثم قالت بلهجة اعتدتها :

ـــ خد الشنطة وهات الحاجة اللي في الورقة .

واستدرت أجري نحو الباب ثم هبطت الدرج وأنا أعرف وجهتي ، ولم أتردد لحظة وأنا أمد يدي بذات القطعة الورقية من فئة الجنيه في آن أقول للبائع :

ـــ اديني باكو شيكولاته بده .

وسريعا امسكت بالشيكولاته وحاولت أن ادسها في جيبي الصغير ولكنها ظلت بارزة منه وسرت قليلا قبل أن ادخل بيتا أعرفه ولم أبحث طويلا عن شقة أعرف رقمها مسبقا وهناك ألقيت الحقيبة وراء ظهري ثم طرقت الباب طرقات خفيفة فانفتح عن سيدة لها ملامح لم أستغربها فانبريت قائلا في لهجة واثقة :

ـــ أنا صاحب سلوى في المدرسة وجاي اسأل عليها .

فابتسمت السيدة وتراجعت قليلا كي تفسح لي طريقا للدخول ثم قادتني الى احدى الغرف ، وفي أحد أركان تلك الغرفة وعلى سرير صغير كانت سلوى ترقد ممددة وما كادت تلمحني حتى انفرجت شفتاها عن ابتسامة كبيرة ولم اجد من الكلمات ما أقول ولكني ما لبثت ان أخرجت قطعة الشيكولاته من جيبي ومددت بها يدي الى سلوى ، فبدا السرور عليها وفي حركة سريعة اقتربت مني وفي حنان بالغ طبعت على خدي قبلة خاطفة فشعرت بالدم يتصاعد الى وجهي ثم تراجعت وأنا اتمنى لها الشفاء في كلمات متلعثمة ثم حييتها مودعا .

ما ان رأتني طنط وقد عدت صفر اليدين حتى صاحت :

ــ فين الحاجـــات ؟

فاجبتها وانا مطاطىء الراس :

ــ الفلوس وقعت مني في الشارع .

فتحركت مسرعة وكانت تبحث عن عصا كما توقعت فعدوت أمامها حتى حصرتني في أحد الاركان فسكنت في مكاني أنتظر قضائي ورأيت العصا وهي ترتفع في الهواء ولكنها لم تكن لتهبط على يداي فقط وانمـا كيف اتفق ، وظلت العصا ترتفع وتهبط عدة مرات يصاحبها في كل مرة صوت طنط وهي تقول في عصبية :

ــ انت صغير عشان تضيع الفلوس .

وبرغم ذلك جبست دموعي وان ظلت عيناي محمرتان . لا تختلفان في ذلك كثيرا عن أجزاء أخرى من جسدي ، وفي المساء عندما احتوانـــي الفراش شعرت بآلام مبرحة في أنحاء جسمي بيد أنها تلاشت تماما عندما تحسست خدي حيث قبلتني سلوى .!

حارة أهم ، هكذا كان ينطقها كل غريب أما سكان الحارة فكانـــوا وحدهم يعرفون أن اسم الحارة هو حارة أدهم ولكن حـــرف الذال سقط سهوا أو عله لم يكتب أصلا ، وعلى أية حال فان اللافتة التي تحمل اسم الحارة لم تكن تحتل مكانا ظاهرا للعيان ، كما أن هناك ما يستلفت أنظار المارة من دونها كتلك الدوائر والاقواس والاشكال الخرافية التي رسمتها المياه على جدران المنازل ، وهذه الجزر التي تصنعها ميـــــاه الصرف ، ناهيك عن الاوحال التي تتعثر فيها الحيوانات التي تجر العربات والتـــي ولا بد تلعن الاوحال كما تلعن أولئك الصبية الذين يتعلقون بمؤخرة العربات فيزيدون أحمالها ثقلا ولا تخيفهم صيحات السائق الذي لا يهتم ولا حتـــى بتوجيه دابته مطمئنا الى انها تعرف طريقها الى سوق الخضرة عبـــر هذه الحـــــارة .

وبرغم انها هي أيضا تحفظ طريقها عبر الجزائر والاوحال المنتشرة في الحارة عن ظهر قلب الا أن قدمها زلت هذا الصباح وتلطخ حذاؤها . ربما لانها كانت شاردة الذهن فلم تنتبه كريمة لطريقها ، فلا تذكر أنها تمتلكتها الحيرة كما هي الان ... ففي مساء اليوم سيطرق بابهم ذلك الشاب الذي طلبها من قبل للزواج وعليها أن تتخذ قرارها في خلال الساعات المتبقية حتى المساء ولا تدري لماذا كانت تؤجل البت في ذلك طوال أسبوع مضى الى أن عاودتها أمها بالسؤال بالامس عن قرارها فتمثل الامر لها وقد كانت تهرب منه طيلة أسبوع .

وحدثتها نفسها بأن ذلك القادم ـــ وهو جار لهم ـــ لو كان قد جاءها منذ عام لربما لم تتردد في القبول ، فحلمها كان دوما الخروج من الحارة في

عربية فارهة كتلك التي جاء بها من احدى الدول العربية ، ومنذ صباها وهي تتعجل اليوم الذي تنتشلها فيه يد القدر من هذا المكان ووقتها كانت تبوح أحيانا بآمانيها تلك بشكل أو بآخر تريد أن يشاركها فيها أي من اخوتها الاربعة ولما لم تجد صدى لكلماتها طوت تلك الاماني في صدرها وراحت تحدث بها نفسها . ولكن اليوم يبدو وكأن شيئا مختلفا فيه فقد تغيرت خلال عام نظرتها للامور وان ظل حلم العربة يداعب خيال اعوامها العشرين فقد عرفت من الحب لونا حالت ظروف نشأتها بينه وبين ان يتخطى النظرات والابتسامات فهي لم تعرف الجنس الاخر الا من خلال ابيها واخويها وزملاء في المدرسة الابتدائية انقطعت صلتها بهم حتى قبل أن تبارح هذه المدرسة عندما همست لها امها بكلمات احمر لها وجه كريمة ، فكيف كان يتسنى لها أن تمضي قدما وهي لا تملك من الكلام حتى حرفا لتقوله في مثل هذا الموقف.

والان فانها تشعر بالحيرة فهي لا تجد في حياتها ما تتعلق به حتى تبرر رفضها ليس لاسرتها ولكن لهذا النداء الخفي في داخلها والذي يوقظ بها أحلام الصبا ثم هي لا تجد ان وافقت ما تدافع به تلك الرغبة التي تموج في نفسها وتحملها على أن تفتح قلبها لمشاعر ظنتها من قبل أن لا وجود لها ، وتزاحمت في راسها الافكار حتى كادت تنسى ما خرجت من أجله ، وسرعان ما استحثت خطاها حتى تلحق بالحافلة .

كان الزحام يعتصرها ولا يمنحها فرصة لتعود الى سابق تأملاتها ، وحين هبطت من الحافلة اخذت تستنشق الهواء النقي وتصلح من شأنها ولاحظت آنذاك تلك الاوحال التي علقت بحذاءها فاستندت الى سياج قريب وانحنت لتمسحه .

لم تستغرق كريمة لحظات ولكنها عندما رفعت راسها وجدت امامها فتاة شابة استوقفتها حركتها المفاجئة فقالت لها :

ـ أتسمحين بأن تعبري بي الطريق ؟!..

ولبرهة صمتت كريمة تأملت فيها الفتاة فتبينت من حركاتها انها ولابد كفيفة فقالت على الفور :

ـ بكـــل سرور ...

ومدت يدها تتأبط ذراع الفتاة التي بادرت بشكرها ثم أردفت قائلة :

ـ انا ادرس في المعهد على الناحية الاخـــرى من الشارع .. أتعرفينتـــه ؟!

ـ للاسف كلا .. وماذا تدرسين ؟!

فردت الفتاة ووجهها لا تفارقه الابتسامة :

ـ الموسيقـى .

استغرق هذا الحديث الوقت اللازم لهما لعبور الطريق وما كادتـا تقتربان من باب المعهد حتى ارتفع صوت مرحب من خلفهما التفتت الفتاة نحوه ترد عليه تحيته ثم همست لكريمة :

ـ انـــه خطيبـي ..

واقترب صاحب هذا الصوت من الفتاة وتناول يدها التي مدتها اليه، وعيناه لا تفارقانها بينما لسانه ينطلق بكلمات شكر لكريمة التي انسلـت يدها ببطء وهي تبتعد بينما كانت تراقب وجه الفتاة وترى وكأن شيئا يطل من عينيها لا تدري ما كنهه فترى به الاشياء اجمل مما لو كانت عيناهـا مبصرتين ، وحارت كريمة في ذلك الشيء .

وعلى متن ساعات اليوم التالية مضت كريمة ، حتى حملتها الحافلة عائدة عند الظهيرة وقد كادت تختنق لشدة الزحام بيد أن خطواتها المثقلـة التي سارتها حتى مدخل الحارة كانت تدل على انها ما زالت تفكر في ذلك الامر الذي شغلها صباحا ، وراحت في ذلك تستعيد ما جال بخاطرهـــا وتسترجع حوادث يومها واستوقفها ذلك الشيء الذي رأته يطل من عينـي الفتاة الكفيفة . وفجاة توقفت عن سيرها المتمهل لترفع بصرها الى السماء ثم خطت مسرعة برغم ليونة الارض من تحتها وقد أزمعـت في نفسها أن تترك حارة اهم ـ حارة أدهم ـ على عربة كما كانت تحلم في صباها ... ولكن على عربة اسمها الحب .

ابراهيم فهمي

الفيضان الآتي من النهر

صراخ الديار الفارغة

النخلة العالية

الفيضان لا ياتي من النهر

.. طافت عينا ابي بالسقف تحدق في السحب التي تلاصقت ونشرت رداء رماديا على بيوت النجع .. تململ في جلسته على السرير الجديد فانبعث منه انين مكتوم ثم انتزع من جسده بعض اجزائه واعتصرها . ووجهه ينظر الى الارض وصدره يعلو ويهبط .

دفعت أمي أعواد «البوص» في جوف الكانون حول براد الشاي على عجل حتى لا يفوتنا عرس اخوالي المناصير في النجع الشرقي .. تصاعد من جوف الكانون دخان ابيض كثيف تسلل الى عينيها فانساب منهما خيطان دامعان اختلطا بذرات الكحل الراقدة في الجفون . أدارت جدائل شعرها الفاحم خلف ظهرها ثم تفرست وجه أبي وقالت : يحميها شيخ الجعافرة .

نهرها ابي وقال : كلام جريم .. ثم اتجه ناحيتي وهو يصرخ في وجهي : انهض يا ولدها .. وهو يشير باصبعه الغليظ الى زرايب البلح .. أسرعت نفزع أمام اقدامي الدجاج الراقد في التراب المبتل .. تابعتني أمي بعينين خائفتين .. سمعت أبي بصوته الجهوري يلاحقني : ابن العرب يصبح مثل السيف يعرف ما ينفع وما يضر ..

تأكدت من الابراش التي وضعتها نساء قبيلتنا على أكوام الثمار في قلب الرمال الساخنة . أبي يقول ان قطرة واحدة تنفذ الى الثمار تفسدها .

ابي خائف مثل كل رجل في النجع والقوم في لهف على تجار البلح القادمين باكياسهم المنتفخة بالنقود والبعض الاخر باع ثماره وهي لم تزل نيئة على رؤوس النخيل . لكن ابي لم يفرط في ثمرة واحدة حتى لو اكله الجوع .

عدت مسرعا كي لا يفوتني العرس .. العروس من المناصير والعريس من المساعيد أهل أبي الذين يفتنون ببنات المناصير .. قالت أمي مرة ان ابي رآها مرة واحدة تعبر الموردة الى النهر فلم يدعها تعيدها مرة أخـــرى وتزوجهـــا .

ناءت الاشجار بأحمالها من الثمار هذا الصيف .. وقريتي لا تنـام تقيم الاعراس من كل نجع وترقب هذه السحب التي تجمعت من كل صوب في سماء النجوع . أما رجال الكوامل وهم ليس فيهم من رائحة العرب شيء لا خوف منهم والرجال أيديهم على النبابيت أسرع من وميض البرق . حين يؤذن الفجر للصلاة يتسلل الكوامل بمناجلهم الحامية يجزون سباط النخيل لا يفرقون بين مال عمدة أو يتيم .

تكورت بجوار أمي التي لم تزل تعد براد الشاي .. مسحت بأناملها الرقيقة على رأسي .. أرادت ان تداعبني فغنت لي ما يغنيه قوال الجعافرة أبو شهاب : يا صغير تنشال في الجيب يا صغير .

قال أبي وضحكته تغالبه : مثل أخواله المناصير ابن مدارس ..

ردت أمي على الفور : المناصير أسياد الناس ، تريد حامد يحمـل عصا في وجه الخلق .

تجرع أبي ما تبقى في فمه من الشاي في جوفه مرة واحدة ثم نهض وهو ينفض ثيابه .. رأيت قامته المديدة طاولت السقف .. ارتدى جلبابه الابيض ونزع عن جسده جلباب الحقل الذي جمده العرق .. أدار بعناية شاله الحريري على رأسه فتدلت أهدابه على جبهته فزادته زينة وبـــرز حاجباه الكثيفان وعيناه الواسعتان وشاربه الكثيف ورائحة الصندل تفوح من ثنايا ثيابه . أسرعت أمي وارتدت ثوب القطيفة واذا لم ترتديه في عرس أهلها المناصير فمتى ترتديه .. أصرت رغم تحذير أبي الا ارتدي الشـال الحريري وأديره حول رأسي مثلما يفعل رجال المساعيد والمناصير لم يبـق بالديار سوى الماشية والعجائز .. الليلة سوف يغني قوال الجعافرة الذي

ذاع صيته من شرق النيل الى غربة .. دفعت أمي (ضبة) الباب الخشبية في مكمنها بعنف .. ثم دست المفتاح الخشبي في (سيالة) الثوب .

.. أتينا العرس وترك ابي أمي تنسحب الى داخل الدار .. توسط أبي مقعدا خشبيا .. أسرع أحد الغلماء ووضع خلف ظهورنا وسادة لينة، جاء الرجال بأواني العشاء مرق ولحم وأرغفة «البتاو» الساخنة . ثم دارت صواني الشاي النحاسية . قال أبي : هاتوا للولد شربات .. شاي المناصير لا تقدر عليه الصغار . واصطف الرجال صفوفا منتظمة .. دقت الدفوف فاهتزوا معها .. زغردت النساء فتردد الصدى من الوديان الساكنة ... برقت حلى النساء في ضوء القمر الساطع ثم مرقت فتاة صغيرة .. أخذت ترقص على دقات الدفوف بانتظام وهي محتجبة عن العيون لا يرى الرجال سوى عينيها .

غنى الرجال في صوت رخيم : سيب اللون .. سيب اللون

سيب اللون .. خد الاصيلة وخد اللون

اشار والدي الى المغني باشارة من يده .. نظر المغني تجاهنا وانشد:

سلامات يا أحمد سلامات

بايدك تطب الجرايح

بحر الدميره .. يا بو ريم

واللي سقط فيك رايح

طارت عمائم الرجال في الهواء وزغردت النساء مرة أخرى .. اعتدل أبي في جلسته واخرج ورقة مالية دسها في يد ابو شهاب وهو يبتسم ابتسامة أنارت وجهه الاسمر .. عجبت لهذا الرجل الذي يتنفس القول وهو لا يحسن هجاء حرف واحد وكتابته . قال البعض : انو أبو شهاب يصاحب نفر من الجن يوحون له بهذا الكلام الموزون .

سمعت أبي بجواري يدعو لال البيت عندما تحركت في ضوء القمر بعض السحب الكثيفة فحجبت ضوءه لبضعة لحظات .. شعر الرجال

بغياب القمر فاستنجدوا بأم هاشم والحسين .. لكنهم توقفوا عن الغنـــاء عندما دوى من السماء صوت ارتطام شيء ففزعت وتكوزت داخل عبـــاءة أبي . الذي رأى وميض البرق بعينيه فأشار للرجال عليه .

ثم اندفعت الرياح الشمالية تجاهنا حاملة ذرات رمال تلطم وجوهنا وتصطدم برؤوس المنازل دفعني أبي مع النساء والاطفال الى الداخل ... تشبثت بجلبابه فنهرني وهو يقول :

اجلس هنا يا ولدهــــا .

قالت أمي بصوتها الخائف : أين كنت يا مكتوب ومقدر .

اندفعت الماشية من أبواب الدار وبقايا مرابطها في أعناقها .. سمعت العروس تبكي .. وامتزجت الحناء في يديها بالكحل من عينيها .

صرخت النساء عندما اندفعت المياه من أسقف ديـــار المناصير ... اتكب أبي والرجال على احجار الصوان المتماسكة ليصنعوا منها حاجــــزا يحول دون اندفاع المياه الى الداخل .. القى كل رجل بعباءته على امراته واطفاله .. أمرنا أبي أن نغادر النجع . تساءل الرجال : الى أين يا أبو ماجد .. رد ابي الجبل الشرقي . الجبل الشرقي .. عند بيوت الكفرة .

أبي يسمي الكهوف الاثرية في بطن الجبل بيوت كفرة .. ارتعد قلبي الصغير وصمت القوم .. كل واحد يرى هذه الكهوف ويحجم عن الاقتراب منها .. يقولون أن هناك أرواح تسكنها . سار القوم وحولهم مياه وتحتهم مياه .. تعثرت أقدام أمي من الثمار التي جرفتها المياه من الزائب فصرخت رغم المياه التي ملأت فمها : خراب ديارك يا حاج أحمد .

زعق أبي وجاءنا صوته مختنقا : بنت المناصير عقلها شت . يا ناس الرزق على المولى . احسست ان من صوت أبي بعض البكاء الحبيس ولكنه يتماسك مثل اي رجل في النجع . اسرع القوم الى الكهوف ولكنهم ترددوا .. تقدم أبي ولقفني بساعده وهو يتحامل على حواف الصخر ... دلفت أمي

خلفنا .. تبعنا القوم بنسائهم وأطفالهم .. حجبت المياه المندفعة امامنـــا ضـوء القمــــــر ..

تذكرت دارنا الواقعة في نجع المساعيد التي لا تكون بأية حال اقوى من ديار المناصير .. عندما أشرق شعاع الشمس وجاء مختنقا بين السحب اسرعنا الى الوادي .. ورائحة البلح المختمر تملأ انوفنا .. نجع المناصير ضاعت ملامحه .. وكل رجل من النجع يدق كفا بكف .. أما أبي فلـــم يتمالك نفسه هذه المرة فبكى ولاول مرة أرى ابي الحاج أحمد يبكي » .



صراخ الديار الفارغة

.. لا أحد من النجع يثق في كلام (المصاروة) القادمين من الشمال ، أن هناك عند الشلال حيث يختنق النهر ، سيبدو للعين سدا من حجر الصوان ، يتحكم في مياه النهر بمقدار ، ومن ثم تطفو خلفه بحيرة لا ترى العين حدودها ، ثم يعلو النهر ، يفتح فاه للحي والميت ، ويغرق في جوفه كل شيء ، وكما تقول الاسطورة المنقوشة على وجه المصب ان القادم من الشمال ليس له عهد . وكقول أبي : ان من يذهب الى المدينة تفسده (البنادر) ، لكن ما رأيناه اليوم . كذب الاسطورة وأبي ، وصدق المصاروة ، رست على الشاطىء سفن تماما كالباخرة السودانية (البوستة) التي نغني لها لانها تجلب لنا معها الاحباب من القاهرة الواسعة هناك من الشمال البعيد .

في البداية غنينا لها كما نغني للبوستة : البوستة قالت توت الليلة يا سمراء .. يا سماره الليلة يا سمراء .

لكن أبي والناس قال : البواخر غريبة ولا يجوز الغناء لها .

من النوافذ الحديدية ، أطل بحارتها ، نصف عراة ، فانزوت النساء رغم المسافة البعيدة من خمرهن .

قلن يا عيب الشوم ، الوجوه أيضا حمراء ، كقشرة الثمرة السكونية، العيون خضراء ، زرقاء ، لكنهـا ليست وادعة طيبة كعيوننا . أطلقت البواخر صفيرا حادا على رؤوس الخلق ، شرخ بكارة السكون ، غاص فيالاجواء الساكنة ، عند الزرع والحدائق ، والوديان ، وقبة الشيخ الجعفري على قمة الجبل ، أبي استدار واعطاني ظهره ، تمتم بآيات يحفظها

تطلع الى خالق السموات والارض ، اكتسى الوجه بالوان أعرفها وقت الشدة كفيضان النهر ، ابيضتا العينان من الحزن ، وصار الوجه كظيم .

* *

في البيت تبعت أمي خلف (الكانون) دارت حول الرأس بمدورة سوداء تماما مثلما تذهب الى عزاء في أطراف النجع ، غنت اغنية حزينة ، صعد الغناء مع بسحابات ، الدخان في فسحة الدار ، تراكمت الوحشة في عيون أمي فاطفات السحر ، رغم الخمار الملتف على الوجه القمري ، سرقت عيناي كرتين لامعتين من الدمع انحدرتا على الخدين ، ثم اسكتت فمي الذي يحاول الكلام بقطعة من خبز (البتاو) .

حرقني البول ، اطلقت القدمين الى فناء الدار ، أتخلص من خزينه على الجدران ، لم يقل أبي تبول على جذع النخلة . يشتد الساعد من النماء ، قلت : صباح الخير ،لم يقل صباحك نادى ياسبع القبائل ، ولم يقبلني فأتالم من اللحية الحادة الكثة ، ثم لقمني أيضا ، بحبة من التمر الابريمي .

وعيناي ما زالتا معلقتان بوجهه المبهم ، افتش عن بسمته المضيئة، الحنونة ، احاول أن اسأله عن ركام الوحشة في عيون أمي وعيون الخلق، من البواخر التي لم نفن لها ، لكن شيئا ما رأيته في عينيه جعلني اخشاه واصمت .

أمي تقول دائما : حين تأخذه منا لحظة عقوب : يا حاج حملتها قمحا وغرقت .

هذه المرة لم تنبس بها ، شاركتك صمتك المثقل العقوب ، تركت جدائل شعرها ضفائر ، كامرأة فرعونية من بنات طيبة القديمة ، وتبع الحزن في سواد العينين ، أمي كانت تقتسم معك الهم نصفين متساويين ! ثم تعود كمدح طيور الشاطىء ، هذه المرة شيء أكبر من كلمة الحزن !

أطفأ سواد العينين الكاحلتين ، وطرد البسمة من الوجه الضحوك ، جعلها لا فرق بينها وبين توائم الجدران .

* *

.. سألت امي لماذا نهاجر ؟ دفعت امي البوص في جوف الكانون ، فزادت من اشعال النار ، رأيت أيضا عينا أبي جمرتين ملتهبتين ، أعدت السؤال مرة أخرى ، عاد الصوت وحده يرتطم بالجدران ، كورت يدي ببعض الحصى ، شهرت اليد المكورة في الوجه الذي غيره الحزن ، استدارت تولول وتركض باتجاه ابي : ولدك .. هاجت في عروقه دماء القبيلة، وقبل أن يرميني بعينيه الناريتين ، بكت عيناي الماكرتين : رفعني علـى الذراع القوي الحافي ، سمعت ، لكن لم أع سوى أن حجر الضنوان سوف يتفجر من الشمال ، وينتظم سدا بعرض المجرى ، ثم يعلو النهر ، يجاوز حدود الديار ويبتلع الحي والميت . والديار والنخل ، والارض ، صرخت بـي وجهك ، حتـى دارنـا ، ساعتها ضحك رغما عنه فتدلت ضحكته خلـف ظهـــره .

اشار بيديه الى زرائب البهائم فاسرعت ، طاردت أقدامي الدجاج النائم في التراب المبتل ، اتيت بالحمار ، وأعددت السرج ، لقفتني أنت خلفك ، كدت أقع يومها . قلت : اثبت يا بن المدارس ، أصبحت مـن العرب مثل السيف ، ثم سلكنا الطريق المؤدية الى مندرة القبائل . قالت أمي خلفنا : الله من عمق النهر الدافىء ، الله من قلب النخلات «النسكوتيات» ينصرك على من يعاديك .

كثيرا عدوت خلفك هذي الطريق ، تنزلق يدي على ملامسة الذيل ، فاقبع على الارض ، أطفح صراخا ، وبكاء فتعود خلفي راجـلا ، كـأنك الابن ترى الطريق والديار بدهشة طفل لاول مرة ، ها هي الجميزة الخضراء قلت : عمرها من عمر النجع ، غرسها جدك الكبير حين غزا النهر والإرض قال أيضا ، جذورها تمتد يسر الخالق الى عمق النهر ، كان حين يهـبـل علينا ، موسم العاشوراء ، نعدو قبالتها تجاه النهر ، نغوص من ضحالـة

المياه ، بأرديتنا ، نسأل ملائكة النهر البركــة ، وفي وجه القمر نطير بأيدينا المخضبة بالحناء حبات الفول السوداني ، ونغني والليل طويل ، والقمــر اكتمل . في مندرة القبائل ، تلونت وجوه الرجال بلون واحد كلون فيضنــة النهر العقوب ، دارت أكواب الشاي ، قال أبــي : شاي « المناصير » ثقيل لا تقدر عليه الصغار ، هاتو للولد عنبـــاب ، اتسعت المندرة لكــل الناس ، المصاروة ، والشيوخ ، والبحارة ، والافنديات ، وانت على رأس الشيوخ .

كتب الافنديات ، شكوى أعادوا قراءتها عليك ، قاطعت بصوت كهدير النهر قلت يا قوم من سكر مثلي من مياه النهر ، من قلبه في طهر هــذي الصحارى ، فتجمع حولك الرجال ، سواعدهم انبوسية ، وجوههم في لون طمى الفيضان ، تلونت العيون ، نفضت السواعد والوجوه رعشة عدائية غاضبة ، غنى الرجال أغنية الحرب القديمة ، ودقت طبــول الحرب ، عندئذ وقف العمدة بقامته كما ساق النخلة ، قال تحارب من يا بن بتول ، قال اجدادكم نحارب ، حين علا الخزان ، ركــب غضبكم النهر والجبــل ، ثم كان الكلام كبلح الصيص ، الحكومة فاضية لكم يا خلق ، السد الواعد بالخير لكل الناس استقام بعرض النهر ، وقضي الامر . يا ناس عقلكم عقل الماعز . يومها جفت حبات العرق على وجهك ، ورددت قضي الامر ، حينئذ رأيت عيناك تلمان النجع بنخيله وبيوته وشاطئيه ..

* *

ملأوا طرقات المدينة رجال ، وجوههم غريبة . يحصوننا مع الدجاج والماشية مائة مرة . للنخلة ثمن ، للديار ثمن ، قلت : نقودكم لا تساوي قطرة من نهر ولا حجر من سقف دار . انتزعت الباب الخشبي ، قلــت سيهاجمنا الذئب ، واجتزنا الديار .

هناك عند الشاطىء ، قلت غنوا يا رجال ، غنوا يا بنات ، عــلا الغناء علا ، حلق فوق رؤوس الديار والبيوت ، أمسكت يدك بقلبك الموجع طفح جسدك عرقا ، ثم تمايلت قامتك وسقطت على الارض ، تلم بيديــك الناعمتين قبضة من التراب لاخر مرة .

النخلة العالية

.. في وسعة الدار ، كان لنا نخلة ، خضراء مثل عينيك . وشواش خضر ، وقلب ابيض ، غرسها أبي من العام الاول من ميلادي ، فاقتسمت معي العمر والزمان .

قال ابي : هكذا النخل يسعى خلف الينابيع البعيدة فتعلمت من النخل .

سألت ابي بعين الدهشة : عما اذا كانت المدينة تحوي نخلا .

قال : لا

في مدينتي مسحت طرقات المدينة بوجهي البكر ، نزت أصابع قدمي دمها الدافىء ، وقفت بشارات المرور والزمان ، اسأل عن نخلتي ، كتبت على حيطان المدينة : انا أريد نخلتي ، سألت النهر الاتي من الجنوب ان صادف يوما نخلتي ، كشفت لثام الريح الاتية والذاهبة بحثا عن نخلتي.

* *

وحين أطلت بعينيك نخلتي ، عيناك نوافذ خضر تماما كشواش نخلتي سألتك ان سنقتسم العمر والزمان ، كنخلتي .

يوما سرقت النار من مدفأتنا الشتوية ، كتبت على الساق اسمي واسم أبي واسم قبيلتي ، سألتك ان كان الله محفورا في عينيك ، كذلك فتشت عن اسمي واسم قبيلتي .

شحاتة عزيز

البرهان...

أخيرًا عرفت الدّواء

البرهـــان ...

نم يا عبد الجليل ، ولتنم ثورتك معك ، فلن يزيدك الارق الا تعبا على تعب . ولا مراء أنك تجني الان ثمار مـــا زرعت . أو لـــم يحذروك مرارا ؟!.. قالت الأم أنها سوف تقودك حتما الى الجنون .. وتوقعـــت أختك جريمة تقضي من جرائها بقية عمرك داخل زنزانة يترقبك فيهـــا الجنون . أي أنه محكوم عليك به في كل خطوة تخطوها . وما الحل ؟.. غمغم في داخله وهو يتقلب في فراشه ساهدا مفتوح العينين . وأحد منكم لم يرشدني ، والطلاق المقترح ليس بالحل الذي أرتضيه . انه الحرية لها ، ولي العار الابدي . سأظل مضغة الافواه حتى بعد أن يطوينـــي الثرى ، ولسوف يقال في كل حين انه سحقني،وانتزعها لترتع بين أحضانه حتى نهاية العمر بلا قيود . وما الحل ؟.. ثم أطلق زفرة أشد وأعمق . وبالقطع سيضير اسما بين سطور صحيفة تخبر برجل قتل زوجته بدافـــع الغيرة أو بدافع الشك .. قال بل اليقين . وهو على غير العادة لم يكـــن اخر من يعلم ، بل كان طول الوقت يعلم ، وكانت تعلم أنه يعلم وتلك رذيلة أخرى . كانت تذبحه كل يوم مائة مرة . بكل كلمة ، أو نظرة ، أو ضحكة، أو حتى حين كانت تنكفىء منتحبة خلال موجات غضبه كانت أيضا تذبحه .

هل لا زلت تحبها يا عبد الجليل ؟.. وقالـــوا مرارا ان الخطأ أن تتمادى في الخطأ .. وقالوا أيضا أن الخطيئة الكبرى خطأ أصغر يظل ينمو وينمو ، شيئا فشيئا حتى لحظة المخاض .عندئذ تولد الخطيئة الكبرى . خطيئتك . وكم عاما فارق السن بينكما ؟!..

بل وكم مرة منحتها مع حنانك الابوي متعد تنشدها وتنزع اليها غير مبتورة ولا منقوصة ؟. وذات مرة روت الاخت بصراحة متناهية عن أخرى تآمرت لقتل زوجها لتطيب لها الحياة مع غيره . روتها بكل دقائقها حتـــى خال نفسه يلفظ أنفاسه دون أن يقدر حتى على صرخة تنفس عن آلامه .

ومثلها سوف تفعلين يا وداد . لكن الأم اقسمت في حينه أنها لــو فعلت لمزقوها بأظافرهم ومضغوها بأسنانهم وليس كــل طائر يؤكل .. هكذا قالـــت .

انبعثت منه تنهيدة ألم تجاوبت معها اخرى انبعثت منها وهي ترقد بجواره فدلت على يقظتها ...

ـــ عبد الجليل ... أولم تنم بعد ؟..

وبصوتها رقة وحنان تتفضل بهما أحيانا وان كان خلفهما غدر كامن في أعماقها . وفي مرات كثيرة كانت قبضته تنال كل جزء من جسمها في عنف ولكنه كان سرعان ما يرتمي بين احضانها يزيل بشفتيه أحزانها ويجفــف بلسانه دموعها فتستسلم له عن رضا وقتى ومحدود الامد ..

ـــ ما الذي يشغلك يا عبد الجليل ؟..

ـــ لا تهتمي ..

ـــ كيف ياتيني نوم وأنا أشعر بقلقك ؟..

ـــ الى هذا الحد ؟..

ـــ عبد الجليل ، أنت كل شيء في حياتي ...

ـــ كثيرون يحيكون لنا الدسائس فكن واعيا يا عبد الجليل ..

ومدت يديها تحاول أن تحتويــه في رقدته ودفعها عنه . والنافــذة مفتوحة على ليل مظلم كقلبه ، فلم يتبــدى شيء من محتويات الحجــرة العصرية . ولقد منحها كل شيء ، وأذاب نفسه في بوتقة الحياة كي يمنحها عصارة الحياة قدر ما استطاع ..

ـــ عبد الجليل ... ثق في اخلاصي ..

ثم حاولت مرة اخرى فتجنبها مبتعدا حتى قارب على السقوط من فوق فراشه ..

ـــ الخطر يحيق بنا . فلنرحل الى بلدة أخرى . فلنبتعد عن كل شيء ها هنا .. وها أنت في سجن دائم يشقيك فيه الزمن المار عبر الحياة بطيئا كئيبا ملولا ، فماذا يضيرك أن تقضي بقية عمرك في زنزانة أخرى ؟.. وها هي بجوارك .. لا ضرورة لسلاح فالامر هين .. بالجسد بقية من فتــوة أما هي فبجسدها النحيل لن تقوى على أدنى مقاومة . ولسوف ينتهــي

الامر بأسرع وأسهل مما تتصور ...

ـــ عبد الجليل ، هل تسمعني ؟..

لا عليك سوى أن تحيط عنقها بيديك ثم تشدد القبضة وبعدها ...

ـــ عبد الجليل ، هل تسمعني ؟..

سوف يتدلى لسانها كأنما تلعق به آخر مذاق للدنيا ، وسوف تجحظ عيناها كأنما تثقب بهما حائط الزمن في محاولة للنكوص ...

ـــ أحس بجسدك يرتعش .. هل أنت مريض ؟..

استدار ليواجهها . انتهى الامر وليس ثمة تردد بعد الان ، السجن ؟ فليكن .. الاعدام ، لا يهم . ولكـــن شيئا من تفكيره لن يتبدل . مـــا تبدل حقا هو كل شيء فيها . لا الوجه هو الوجه ، ولا العينان هما العينان ، ولا الشفتان اللتان ارتشف رحيقهما في زمن ولى ما عاد لهما ذات المذاق . كل شيء تبدل مذ تلاقت بالاخر ذات مساء فسطا على قلبها .

امتدت يداه تتحسسـان عنقها . نبتة شيطانية لاتستحق ماء ولا حياة ويجدر أن تقتلع . وصلت يداه الـــى العنق . أدركت ما ينتوي فغمغمـت بكلمات غير مفهومة . تحاول أن تدفعه ولكنها تفشل . أحاط بيديه عنقها . نبتة شيطانية تقتلع . نـــدت عنها صيحة فزعة . ضغط بشدة . حمـــدا لله أنه لا يرى عينيهـــا في الظلام ،لو حدث فالامر جد خطير وقد يهـــدد بالتراجع . لا تزال تقاوم بقوة . ترى أنى لهذا الجسد النحيل تلك القوة ؟!. أهو الشيطان الكامن فيها ، أم هي الحياة التى جدير أن تتجمع لها كـــل قوة الانسان للذود عنهـــا ؟.. لا تزال تدفعه ولا يزال يضغط بشـــدة . لجأت الى قدميها لتزيحـــه الى جوارها فقد تخف القبضة حول العنـــق . نجحت وانطرح جانبا بيد أن الفراش لم يحمله فسقط على الارض . انفرج الحصار ونجا العنق من الحلقة المطبقة حوله . نهضت لاهثة تعدو فـــي جنون واندفعت خارجة . لم يلحق بها . اهتدت الى طريقهـــا اما هـــو فتعثر وانكفأ . سبقته الى حجـــرة أخرى وأوصدتها . راح يدق البـــاب بعنف غلبتك يا عبد الجليل . ليلك كله هزائم بل وحياتك . لن تبقى معـــك مرة أخرى وسيكون الطلاق محتوما ومشوبا بالعار والهزيمة . جرب أن يحطم الباب ففشل . تسللت الى أذنيه نهنهة خافتة من خلف الباب فسرى

الحنق في أعماقه . عجز عن فعل شيء فعادت قدماه تجرانه في تخاذل الى فراشه . ارتمى منهكا . تساءل عما يجب أن يفعل فلم يوفق ذهنه المكدود في الوصول الى قرار . فلينتظر حتى الصباح ، ولكن اليقظة واجبة فقد تباغت . ستلتقط أذناه حتى هفة قميصها الحريري لو تحركت .

ظل طويلا يحدق عبر الظلام في لا شيء . أنفاسه تتلاحق وبجسده ارتعاشة مجنونة . أحس بحركة بالخارج فجلس فوق فراشه متأهبا . انفتح الباب فتحفز . أضيء نور الحجرة فنهض واقفا . رآها بوضوح . تقدمت منه ولكن في اعياء شديد والشحوب يغطي وجهها . توقفت . وقفتها الخاملة لا تنبىء بشر . أرسل نحوها نظرة متفحصة . بوجهها انكسار وذلة ، وبيدها اليمنى وريقة تهتز مع ارتعاشة كل جسدها ...

— عبد الجليل .. ارجوك ، اعطني فرصة لاقول كلمة ..

ثابت في موضعه لا ينبس ..

— لقد حققت رغبتك ..

فاغرفاه لا يأتي بحركة ..

— سأموت .. أليس هذا هو ما تريده ؟..

وازدردت ريقها بصعوبة ثم اردفت مختنقة الصوت :

— ولكني لا أريدك أن تسجن بسببي ..

ثم وهي تقدم له الورقة بيدها المرتعشة :

— خذها .. كتبتها بخط يدي قبل أن أتناول ...

ولم تكمل فقد بلغ بها الاعياء منتهاه ولم تقوا على الكلام ولا على الوقوف . جثت على ركبتها ثم لم تلبث أن حملتها الارض ممددة . شهد وسمع كل شيء بذهول شديد . انحنى فوقها فزعا وامسك بيدها وهو

يتفحص الوجه الشاحب وداد !!.. غمغم وهو غير مصدق لما يرى . لا يزال بها نبض الحياة ولكنها بلا حراك ومفتوحة العينين تتأمل وجهه وكأنها تراه بأعجاب لأول مرة وعلى شفتيها ابتسامة باهتة . حملها الى الفراش . بيديك يا عبد الجليل ، حملتها ، ومددتها فوقه بحنان . لا تزال مفتوحة العينين والابتسامة على شفتيها تشى بوله شديد . انحنى يقبل جبينها . زادت بسمتها اتساعا وبدا الرضا على وجهها . حاولت أن تحرك شفتيها فلما لم تستطع اكتفت بعينيها تحادثه بهما أما هو فتبللت عيناه بالدموع . نهض واقفا . تلفت حوله مترددا لبرهة ثم سرعان ما اندفع خارجا يعدو في جنون .



اخيرا عرفت الدواء

حين برزت الراقصة من خلف الستائر الحمراء البراقة اشرأبت الاعناق وتركزت عليها العيون . حتى الفتى الجالس لصق عروسه ، والليلة ليلته ، التمعت عيناه وراح يتابعها وهي تتثنى وتثب وفق الايقاعات المنبعثة من الجوقة المصاحبة . أما النسوة المدعوات فكانت عيونهن ترقب ازواجهن في تبرم يتوارى خلف الابتسامات الباهتة .

وفي ركن قصي جلس هو مع زوجته . تعمد الا ينظر الى الراقصة وانشغل بتأمل لوحة كبيرة تصدرت القاعة اما هي فراحت تحدق في لا شيء ، وفي نهاية السهرة ابدت رغبتها في الرحيل فلم يمانع .

عند الباب الخارجي لفحت وجهه نسمة رطبة جففت بعضا من عرقه المتصبب . سعى بهدوء نحو السيارة الرابضة غير بعيد عنهما . جلست بجواره واجمة ولم تشأ ان تحادثه اما هو فبدا كأنه يعرف تماما كل ما يدور بخلدها . التفت اليها قائلا وهو يجاهد لاظهار صدقه :

— كان من الممكن الا نحضر ، ونعتذر ..

فأسرعت تقول دون أن تلتفت اليه :

— لا عليك ، انه واجب وأديناه ..

وربتت على يده بحنان ثم اقتربت منه لتلاصقه وهي تقول :

— انه أمر لا يتكرر كل يوم ..

صمت وانشغل بقيادة السيارة بينما شردت بناظرها في الطريق

المترامي أمامها بأضوائه المتناثرة على جانبيه . كان الصمت فرصة لكـي تتفتح جراحها القديمة وتنفع الذكريات الى ذهنها كاندفاع السيارة عبـر الطريق الطويل . كانت ليلة كمثل الليلة ، ولكن العروس كانت شقيقتـه التي تولاها بعد أن مات والده ، وحانت اللحظة التي يحق لـه فيها أن يفرح . كانت هناك راقصة ، وكانت هناك أيضا جوقة ولكنه لفرط سعادته اوقف الجوقة وجلس الى البيان وراح يعزف لها . كان يهوى الموسيقـى قبل التحاقه بكلية الطب ، ولازمته الهواية حتى بعد التخرج . عزف كثيرا واجاد . ورقصت كثيرا وأثارت الاعجاب وبعد الرقصة تلاقيا ..

ـ شيء مدهش ، الحق انك لعازف ماهر ..

ـ شكرا للمجاملـــة ..

ـ حقيقي هذا اعجــاز ..

ـ وجهي القول لزوجتي فهي لا تعترف بي كموسيقي ..

ـ انها والله لتحسد عليـك ..

ـ كموسيقي أم كطبيب ؟..

ـ كلا .. دعك من الطـب وتعال للموسيقى ..

تتناثرت الضحكات . حتى هـــي ضحكت كثيرا وفي براءة شديدة وشاركت في المداعبة ، ثم عاشت في براءتها حتى استيقظت ذات يوم فاذا بالدعابة حقيقة . ساورتها الشكوك حين خرج على نمطه المألوف . أهمل عمله واخل بالمواعيد ، وكثر ابتعاده عـن البيت ووضحت عصبيته ، حتى طفلته الوحيدة لم يعد في معظم الاحايين يتحمل عذرها .

شهرت اسلحتها وبدأت ترقب وتتقصى حتى سعى اليها طبيــب صديق وحذرها . عرفت منه ما لم تتوقعه أبدا .. انــه يهجرها اليها ، الراقصة . بعد هذا العمر ، وتلك المعاناة ؟!.. أين ثقافته ، وأخلاقـه ومبادؤه ، بلوأين حبه لها ؟!.. هل ثمة شيء قصرت فيـه نحوه ؟.. تزوجته عن حب ونما الحب بعد الزواج . بدأت معه مسيرة المعاناة حتى

حقق كل ما يريد . منحته كل شيء ، والحق أنه أعطاها كـل شيء .. شيء واحد تذكرته أخيرا .. الموسيقى . كانت تحارب حبه لها . لم تكن ترضى عنه حين يلجأ الى البيان حتى في أوقات فراغه ، وبرغم جبهـا للموسيقى الا أنهـا اعتبرتها مضيعة لوقتـه الثمين . عرفت عشقه لهـا وتجاهلته . وها قد وجد من ترضيه وتشبعه بما يهوى .

عاشت حيرتها وهمومها . هل تستسلم ؟.. هل تدعه يهجر بيتـه ليرتمي بين أحضان راقصة مضحيا بكل شيء ؟!.. هل تواجهه وتلومه؟.. أم تتركه وترحل ؟.. كلا .. لن تستسلم .. ثمـة خيط رفيـع لا يـزال يشدها ويبعث الامل فيها .. ان بقلبه بعض الحب لها . تلمسه في سلوكه أحيانا . كانت تقرأ في عينيه انه يريدها هي ولكن بلا تزمت ، ومضافا اليها ما يلقاه من الاخرى . أحست بخطئها ولم تكابر أو تخادع . لم تفكر لحظة انتضعه في موضع المذنب بل وجهت الى نفسها كل اللوم . « الرجـل طفل صغير يحب من يدلله ويمقت من يحرمه من أمر يشتهيه .. » درس وعته ولكن متأخرا ، فهل ثمة فرصة ؟..

فكرت طويلا طويلا . لم تستشر احدا ولم تلجأ الى اهل كما لـم تشك أمرها الى صديق . جلست الى نفسها تحاسب نفسها ، وبعدهـا توصلت الى قرارها . يجب أن تبعده عنها مؤقتا ، ثم فلتجعل من نفسها الصورة التي يرتضيها . بدأت برحلة قصيرة معه وافقها عليها بعد طول الحاح وتوسل . بعد عودتها غيرت من نمط حياتها . تخلت عن تزمتهـا المعهود وأضفت على البيت بهجة طال احتجابها . زاد اهتمامها بالموسيقى، شجعته ، وامتدحته وراقها عزفه ولم تتردد في أن تغني بل وأن ترقص على أنغامه . الم تفعل الاخرى ذلك ؟.. فلتكن له كما يبغي ولن تدعها تظفر بـــه .

لم تكن السيارة قد بلغت المنزل بعد حين اكتملت ذكرياتها . مالـت اليه وامسكت بذراعه وكأنها تخشى أن يضيع منها مرةأخرى ، أما هـو فامسك بعجلة القيادة بيد واحاطها بالاخرى في حنان بالغ وكأنه قد تذكـر كل ما تذكرته وخشي على نفسه أن تجرفه بعيدا نـزوة أخرى طائشة . تلاقت يده بيدها . تشابكا وانتشر الدفء فيهما .

فهرست

مؤسسة
مطابع معتوق

بيروت - لبنان

